المشرق

العاديّات الكتابيّة في القرون الاولى للنصرانية

نظر اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (*

انَّ العاديّات الكتابيَّة التي استخرجها الاثريُّون في الازمنة الاخيرة من بطون الارض قد اضحت علماً جديداً يتَّسع كلّ يوم نطاقهُ ويتَّخذهُ المؤرخون كسندٍ وطيد لتعريف ما فاتنا من الاخبار السالفة . وكثيراً ما اصلحوا بها مزاعم الكتبة الاقدمين وزيَّفوا اوهامهم او اثبتوا اقوال البعض منهم دون البعض الآخر لأنَّ هذه الآثار تنطق بلسان حالها عن شؤون الذين دوَّنوها وقد شهد على صحتها كل قاصٍ ودانٍ اذ رُقمت في الغالب على الحجارة او نُقرت في المعادن كالحديد والشبه او رُسمت على الخزفيَّات والواح الخشب او كُتبت على البردي والرق فبقيت مطمورةً بين الاطلال حتى جدَّد حياتها ارباب الحفريات وبعثها من دفائنها الباحثون عن العاديَّات

وليس كلامنا هنا عن الكتابات الاشوريَّة ولا عن الآثار المصريَّة الهيروغليفيَّة التي كشفت للعلم عالماً جديداً لا بل نضرب صفحاً عن الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة التي قليت اليوم ظهراً لبطن تاريخ اليونان والرومان فكادت تقرّب الينا عهدهم فتوقفنا على ادقّ احوالهم في عيشتهم الاهليَّة وحياتهم الاجتماعية . وفي عاداتهم

(*) اخص ما ورد في هذه المقالة قد نقلناه عن فصل مطوَّل كتبهُ حضرة الاب لويس جلابرت (P. L. Jalabert) اليسوعي من اساتذة كليتنا في معجم الدفاع المسيحي الذي يُعنى بنشره الاب هـ. داليس اليسوعي في باريس (Dictionnaire d'Apologétique chrétienne, art,. EPIGRAPHIE, pp. 1403-1458).

ومعاملاتهم المختلفة في كلّ امور دينهم ودنيـاهم فانَّ معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة الذي وصفت اقسامهُ مجلَّة المشرق كلُّهُ مبنيٌّ على هذه الاثريَّات الذي يزيد اليوم عددها على ثلاثمائة الف كتابة بين صغيرة وكبيرة قصيرة وطويلة وجدوها في كلّ انحاء الدولة الرومانيَّة القديمة حتى اقاصي تخومها المعروفة

وانَّما اقتصرنا في هذه المقالة على عاديَّات أُخرى اهمّ واجدر بالاعتبار نزيد بها العـاديَّات المسيحيَّة اليونانيَّة واللاتينيَّة الراقية الى قرون النصرانيَّة الاولى منذ عهد رسل السيّد المسيح الى الهجرة وظهور الاسلام . وهذه الكتـابات المنبثة من مكامنها بعد انحجابها عن العيان مدَّة اجيال طويلة قد بلغ عدد مجموعها اليوم نحو الخمسين الفاً . وهو لعمري عدد وافر وان كان دون عدد العاديَّات الوثنيَّة لأنَّ الكتابات الوثنيَّة سبقت عهـد النصرانيَّة بنحو ٣٠٠ سنة ثمَّ لا عجب في توفُّر الكتابات الوثنيَّة وقلَّة الكتابات النصرانيَّة بعد ظهور النصرانيَّة الى قسطنطين الكبير لأنَّ امور الدولة كانت كلّها في ايدي القياصرة وكان النصارى مضطهدين ينبغي عليهم ان يعيشوا في الخمول او يحتجبوا عن نظار اعدائهم في الدياميس او في الاماكن المعتزلة فما كانوا ليفكّروا في تدوين مآثرهم او تعريف شؤونهم لئلَّا يقف خصومهم على تلك الآثار فيتَّخذونها حجَّة عليهم لمصادرتهم

ومن المرجَّح ايضاً ان قسماً من الكتابات المنسوبة الى الوثنيين بعد المسيح ليست لهم بل لنصارى لم يريدوا ان يُشعروا بدينهم تجرُّوا في كتابتها مجرى الوثنيين واتَّخذوا عباراتهم الرسميَّة متحاشين فقط ما يدلّ على الشرك والوثن . وهذا الامر قد لحظهُ ائمَّة الاثريين كامام علماء الماديَّات النصرانيَّة الكاثليـار دي روسي (J. B. de Rossi) وفرنتس كومون (F. Cumont) والاثري الانكليزي رمساي (Ramsay) وغيرهم واستدلُّوا عليهِ ببعض الادلَّـة اللطيفة المؤيدة لرأيهم كاستبدال النصارى بعض الفاظ بما هو اقرب الى معتقدهم فمن ذلك لفظة (κεῖται) اليونانيَّة المرقومة على قبور الوثنيين بمعنى امتدَّ وانطرح فالنصارى جعلوا بدلاً منها κοιμᾶται اي رقَدَ دلالةً على رجائهم بالقيامـة . وكذلك ترى الوثنيين يختمون كتاباتهم على القبور بطلب العافية والصحَّة لمواتهم χαῖρε, ὑγίαινε فالكتابات النصرانيَّة ابدلتها بطلب السلام او سلام الله للميت . وغير ذلك من الدلائل الخفيَّة

اخصُّها الثاب نصرانيَّة كقارئ او كاهن او اسقف ممَّا لا يمكن نسبتهُ الى الوثنيين

فبعد هذه المقدَّمات ها نحن نذكر اوَّلًا تاريخ العاديَّات النصرانيَّة ونبين خواصَّها وميزاتها ثمَّ نعرِّف مضامينها وما يُستفاد منها لاثبات الدين المسيحي

١ تاريخ العاديَّات النصرانيَّة وخواصُّها

خلَّفت النصرانيَّة في الشرق والغرب آثارًا جمَّة في القرون النصرانيَّة الاولى ولا سيَّما بعد قسطنطين لكنَّ زحفات البرابرة في الغرب والفتوحات الاسلاميَّة في الشرق طمست كثيرًا من تلك المآثر وتبعتها الحروب الطاحنة التي انتشبت في الاعصار الوسطى فاندفن معظم العاديَّات النصرانيَّة في الردوم والاخربة . وبقي الامر على ذلك حتى القرن السادس عشر حيث بعث الله العقول من سِنَتها فجرت نهضة جديدة دعت ارباب البحث الى التفتيش عن العاديَّات القديمة . وبينما كان اكثرهم يطلبون الآثار الوثنيَّة صرف غيرهم النظر الى الاثريَّات النصرانيَّة فلم يخب فيها أملهم

وكان اوَّل ما اخرجوا منها الى عالم الكون عاديَّات دياميس رومية . وقد سبقت مجلَّتنا هذه وذكرت سنة ١٩١٠ (ج ١٣ ص ١٦١—١٧٣) خلاصة تاريخها ومحتوياتها منذ وقف عليها لاوَّل مرَّة القانوني الشهير بوزيو (A. Bosio) المتوفَّى سنة ١٦٢٩ حتى هذه السنين الاخيرة التي توالت فيها الاكتشافات الاثرية على يد دي روسّي وتلامذته . فنُحيل القرَّاء اليها انفةً من التكرار

على انَّ تلك المآثر الكتابيَّة لم تكن منحصرةً في عاصمة الدولة الرومانيَّة بل انتشرت انتشار النصرانيَّة نفسها اي في كل البلاد المعمورة والعالم اجمع كما كان امر المسيح تلاميذهُ بقولهِ لهم : « اذهبوا الى العالم كلهِ وتلمذوا كلَّ الامم »

فلا غرو ان ظهرت ايضاً في اقطار متعدِّدة بقايا تلك العاديَّات ولا سيما الكتابات المنبئة بشؤون النصارى فوجدوا كثيرًا منها في انحاء اوربَّا كايطالية وغالية واسبانية وبريطانية والمانية والنمسة حتى روسية الجنوبيَّة ثم جهات البلقان واليونان . ومنها في افريقية كمصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومرَّاكش الى مجاهل افريقية واعالي النيل والسودان والحبش . ومنها خصوصاً في آسية كبلاد الشام والاناضول وارمينية والعراق وفارس وبوادي جزيرة العرب حتى فارس والهند

وتركستان والصين كما ظهر في البعثات الاخيرة التي قام بها العلماء الاوربيُّون في العُشر الاوَّل من هذا القرن الجاري . وكفى بذلك دليلًا ساطعاً على ان انوار الدين المسيحيّ عمَّت كافَّة اصقاع العالم القديم

وهذه الكتابات تمتدُّ من اواخر القرن الاوَّل للميلاد ثمَّ تتوالى جيلًا بعد جيل حتى القرن السابع او الثامن وما جاء منها بعد ذلك العهد لا ينظمونهُ في عداد الكتابات القديمة بل يدخلونهُ في جملة كتابات طور احدث وهو طور القرون الوسطى الخارج عن نطاق بحثنا

وليس لتلك الكتابات كلها تاريخ يعيّن زمانها لأنَّ قسماً كبيرًا منها خالٍ من التاريخ . اما المؤرخة فتارة تؤرخ بتعيين زمن قناصل رومية او بذكر الملوك الذين رُقمت الكتابة على عهدهم كملوك الرومان والفرنك والقوط . وقد جاء في كثير منها اسم بابا رومية الجالس على كرسي بطرس في زمنها . والكتابات الشرقيَّة مؤرخة بتاريخ الاسكندر او اليونان (اي ٣١٢ ق م) ولبعضها تواريخ محليَّة كتاريخ انطاكية (٤٩ ق م) وتاريخ بصرى (١٠٦ ب م) وشاع في الكتابات المصريَّة تاريخ الشهداء او تاريخ ديوقلطيانوس (٢٨٤ م) كما فضَّل السريان وغيرهم تاريخ العالم على مقتضى الحساب البوزنطي الذي يجعل مولد المسيح سنة ٥٥٠٨ لآدم . ويبلغ عدد الكتابات اليونانيَّة المؤرخة نحو ١٤٠٠

اما الكتابات الخلو من التاريخ فاكثر عدداً وهي تنيف على عشرة آلاف بين الكتابات اليونانيَّة . وقد تمكَّن الاثريُّون من تعريف زمن معظمها بتدقيقهم في البحث وذلك اما بدرس صور حروفها وطريقة كتابتها لأن هيأة الكتابة اختلفت بين جيل وجيل واما برسومها ورموزها كالصليب والانجر والسمكة والحمامة والكأس وسعف النخل واوَّل حروف اسم المخلّص فانَّ لهذه الرسوم واشكالها تاريخاً يُعرَف به تاريخ الكتابة تقريباً . فانَّ الانجر مثلًا هو من اقدم الرموز التاريخيَّة النصرانيَّة في بعض البلاد . والحمامة لم تظهر قبل السنة ٣٧٨م وقس عليه بقيَّة الرموز . ومثلها الأعلام والالقاب استدلُّوا بها على زمن بعض الكتابات

ومما تقرَّر لدى الاختصاصيين من علماء الآثار انَّ النصارى في صورة كتاباتهم القديمة قد جروا على طريقتين مختلفتين الطريقة الأولى سبقت لعهد قسطنطين والثانية

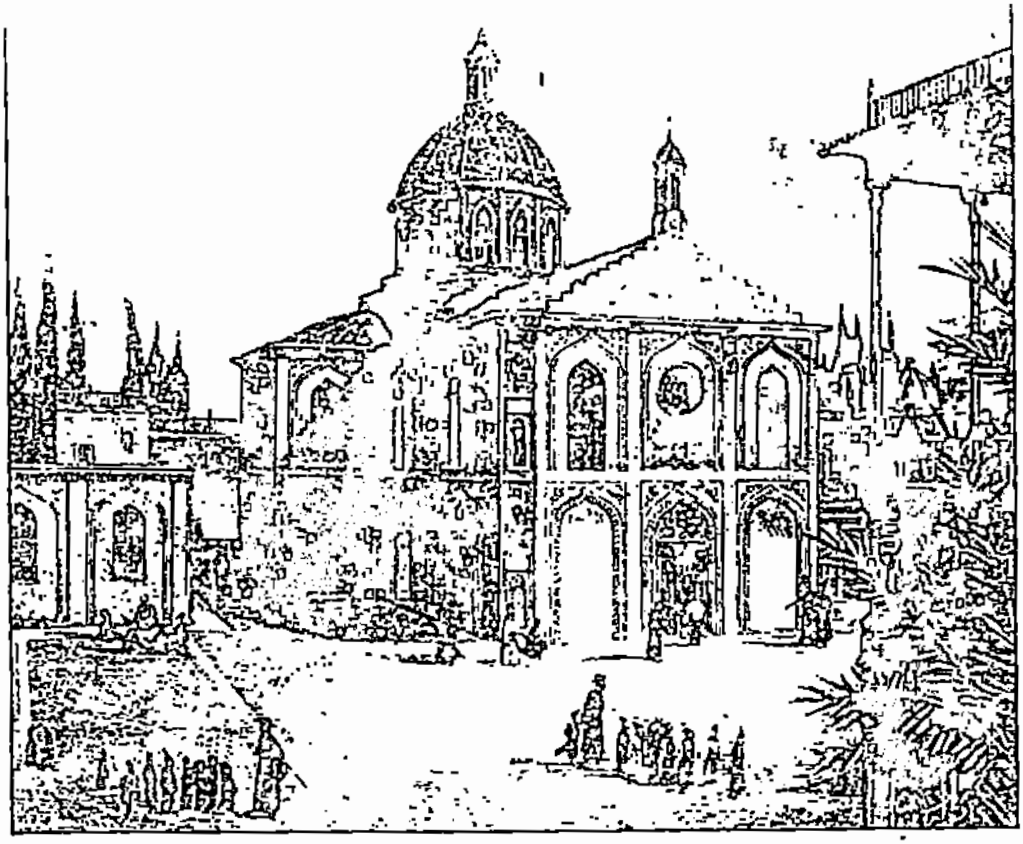

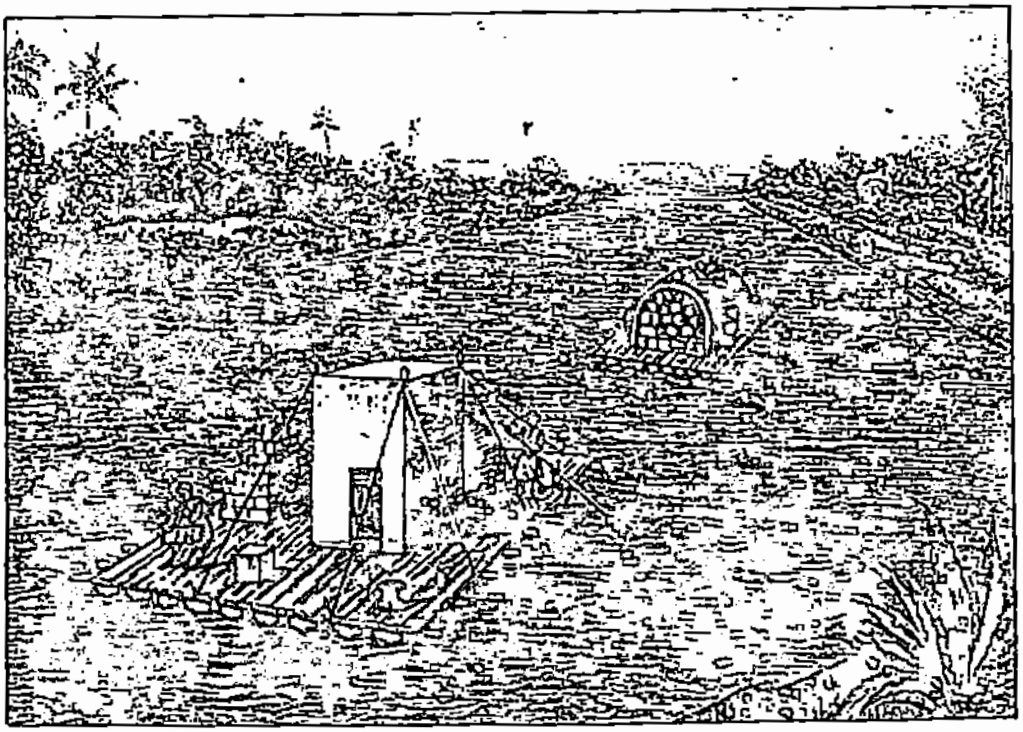

١ كنيسة الآباء الكرمليين ومدرستهم في بغداد ٢ الاطراف (الكلكات) على دجلة

تبعتهُ . ففي الاولى مسحةٌ من السذاجة والبساطة لا تُنكَر وهذه الكتابات غالباً قصيرة لا تزيد عن الفاظ قليلة لاسيما الكتابات التي على مدافن الموتى فانها تقتصر على اسم الميت مع بعض الرموز النصرانيَّة فقط ومنها ما يزيد على اسم الفقيد تعريف سنهِ ويوم وفاتهِ ودفنه وتُضاف في غيرها ادعيةٌ للميت غاية في البساطة كقولهم : حييتَ في الله . او حييتَ في المسيح . او في السلام . او مع القديسين . او في الراحة والهناء . وقد قُرئ على بعض المدافن : صلِّ لاجلنا . او برَّد الله روحك (١

اما الصنف الثاني بعد قسطنطين فانهُ اغزر مادةً واوضح معنىً لا سيما الكتابات الضريحيَّة اذ لم يعد النصاري يخافون الاعلان بدينهم فيقدّمون على هذه الكتابات مقدّمات كهذه « في هذا الضريح يرقد بسلام فلان » ثم يعدّدون اسماء الميت والقابهُ ويثنون على فضلهِ وصلاحهِ كقولهم "فلان ذو الحكمة الباهرة والنفس الطاهرة والقدوة الحسنة » وما شاكل من المديح . أما الرموز فيتعاضون عن خفيّها بجليّها كالصليب او اسم السيد المسيح المختصر كما ورد على راية قسطنطين

ومن غريب ما لحظهُ الاثريُّون انَّ الكتابات الدفنيَّة والرموز النصرانيَّة التي وُجدت في بلاد غالية وبلاد شمالي افريقية اشبه شيءٍ بالكتابات الرومانيَّة التي سبقت في الديامس فكأنَّ نصارى تلك البلاد كانوا يتقلّدون العادات الجارية في رومية وكفى بذلك دليلًا على نفوذ سلطة الكنيسة الرومانيَّة ورئاستها . وهذا ما كشف عنهُ النقاب المسيو مونسو (Monceaux: *Hist. littér.*, II. p. 121-125) فانهُ قد احصى ٦٠٠ قطعة من كتابات نصرانيَّة راقية الى القرن الثالث للمسيح وجدوها في المغرب وجهات البربر وفي قرطجنَّة فمعظمها على صورة الكتابات التي وُجدت على قبور شهداء الديامس اللهمَّ الا مميّزات طفيفة تُعرَف بها الكتابات الافريقيَّة

ويؤيد ذلك انَّ ارباب الآثار وجدوا في عدَّة امكنة ابياتاً شعريَّة نظمها احد شعراء رومية النصاوى ليزين بها قبر احد احبار الكنيسة . فشلعت الابيات في انحاء أخرى ورسموها على قبور غيرهم مع تغيير اسم الميت رغماً عما يصيب الابيات من خلل الوزن بهذا التغيير

---

١) اطلب Monumenta Eccl. liturg. p. CI-CVI et CXXIV-CXXXI et KAUFMANN : Handbuch, p. 211 seqq

وما قرَّرهُ المسيو مونسو عن كتابات شمالي افريقية قد عنمهُ اثريٌّ آخر من ائمة ارباب العاديات النصرانيَّة المسيو لوبلان (١ في كتبهِ المتعدّدة فـاثبتهُ عن معظم الكتابات الاثريَّة التي اكتشفوها في انحاء اوربَّة . والظاهر انَّ نصارى الاقاليم الغربيَّة كانوا استنسخوا الكتابات التي وجدوها مرقومة في رومية على ابنية النصارى فحذوا حذوها في بلادهم

هذا ما ثبت اليوم عن الكتابات النصرانيَّة في الغرب امَّـا الكتائس الشرقيَّة فلبُعدها عن مركز الوحدة الدينية لم تلتزم في كتـاباتها طريقةً واحدة فتجد اختلافاً كبيراً بين ما وجدوهُ منها حيث يلوح لاوَّل وهلة ان كاتبيها تبعوا في تدوينها ما جادت بهِ قريحتهم او ما سوَّلتهُ لهم ظروف الامكنة والازمنة . وان قابلت بين الآثار الكتابيَّة النصرانية التي جمعهـا من الشام وفلسطين ومصر وبلاد العرب امكنك من ساعتك ان تعرف الجهات التي كُتبت فيها . وربَّما امتازت كتابات اقاليم القطر الواحد كاقاليم الاناضول واقاليم مقدونية واليونان التي يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يُذكر

ويظهر الفرق المذكور في بعض الاحيان حتى بين ايالة وايالة وبين مدينة ومدينة وبين قرية وقرية فيميّز الاثريّ دون صعوبة لهجة كلّ بلد وطريقة كتابتهِ واشاراتهِ الخاصَّة حتى يستطيع ان ينسب كل كتابة الى اصلها والمكان الذي كُتبت فيهِ سواء كانت في انحاء فلسطين او الشام او في حوران او احدى مدن مصر مع تعيين زمانها تقريباً

فهذه بعض خواصّ امتازت بها الكتابات النصرانيَّة في القرون الاولى . فهلمَّ بنا الآن نذكر فوائدها التي رفعت قدرها في اعين ذوي الاعتبار

٢ الفوائد المقتبسة من اكتشاف الكتابات النصرانية القديمة

قلنا سابقاً انَّ العاديَّات اجمالاً من ادلّ الشواهد على تاريخ القدماء واحوالهم في دينهم ودنياهم . وهذا القول يصدق عن العاديَّات المسيحيَّة كما يصحّ في غيرهـا

(١ راجع (Le Blant : *Manuel*, p. 75; *Recueil*, II, p. 152-157; *L'Epigraphie Chrét.*, p. 48-51)

ايضاً . فكل من يسرح النظر في تلك الآثار الكتابيَّة لا يلبث ان يشاهد الدين النصرانيّ باسره قائماً بازائه في حالة قشيبة لم تحكها يد الاجيال ولكن نسجتها ايدي تلامذة المسيح الاوَّلين واتباعهم الذين اخذوا عنهم التعاليم الدينيَّة فلا يستطيع احد ان ينسب اليهم تزويراً او تمويهاً حتى اذا قابل بين نصرانيَّة تلك الاجيال السالفة وتعاليمها وآدابها الحاليَّة وجد بينهما الشبه التام فاضطرَّ الى ان يقرّ بان الدين الكاثوليكي ثابت المعتقد لم يختلف البتَّة مع كرور الدهور وتوالي العصور . وبياناً لذلك ها نحن نفحص بعض ما ابدتهُ تلك الكتابات القديمة من الشواهد تأييداً لمعتقدات الكنيسة فيرى انَّ « يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى مدى الدهور » (عبر ١٣ : ٨) وانَّ كنيستهُ الكاثوليكيَّة التي انشأها لم تجد ذرَّةً عن تعاليمهِ وتعاليم رسلهِ فسبحان الذي وفَّر للعالم اسباب الايمان وبنى دينهُ على صخرة لا تتزعزع

اوَّلاً الكتابات الاثريَّة والاسفار المقدَّسة

واوَّل ما يُستفاد من الكتابات الاثريَّة النصرانيَّة شرقيَّةً كانت او غربيَّة وفرةُ منقولاتها عن الاسفار المقدَّسة من العهدين العتيق والجديد . فالنصوص المنقولة عن العهد العتيق اكثرها من سفر المزامير (ولا تقلّ عن خمسين مزموراً) ومن الاسفار المعروفة بالحكميَّة لموافقة هذه الاسفار للأدعية وابراز عواطف النفس وعادةً لا تزيد هذه الشواهد على ذكر آية او آيتين الَّا البعض منها فهي اطول فانَّ احدى كتابات قبرس الواقية الى القرن الرابع نقلت المزمور ٢٩ باسره (Bull. de Corr. Hellén., 1896, p. 346-351) كذلك وجدوا في رودس صكّاً مختوماً من القرن الثالث او الرابع يحتوي المزمور ٨٠ الَّا خاتمهُ (Akad. d. Wiss. z. Berlin, 1898. p. 582) ووجدوا على عتبة باب كنيسة قديمة في شمالي سوريَّة عدَّة آيات منقولة عن المزامير وعن سفر نشيد الانشاد (Prentice and Littmann, PAE. n°s 839-840) مشروحةً بمعناها الرمزيّ عن بيعة الله عروس الروح القدس وفي العاديَّات المكتشفة في مصر وافريقية وسوريَّة شواهد أخرى من سفر الحكمة وامثال سليمان وابن سيراخ

وكذلك العهد الجديد فقد نقلوا عدَّة آيات منهُ بينهما نصوص من الاناجيل الاربعة القانونيَّة وآيات من جميع رسائل القديس بولس الرسول رُقمت على حجارة

قديمة وخزفيات ورقوق وبرديّ في بلاد الغرب والشرق معاً لاسيما سوريّة ومصر وشمالي افريقية فهذه المنقولات تشهد بلسان حالها على شيوع الكتب المقدّسة في تلك البلاد وتثبت شبهها التامّ جوهرياً بالاسفار التي نتداولها اليوم فتسقط حجّة المدّعين بأنّ النصارى حرّفوا تلك الكتب المنزلة او تلاعبوا فيها. فسبحان الذي أفحم الخصوم بهذه الاكتشافات العجيبة

وهذه الشواهد منقولة عن نسخة الكتب المقدّسة اليونانيّة المعروفة بالسبعينيّة الراقية الى القرن الثالث قبل المسيح وقد استفادوا منها تصحيح بعض روايات مصحّفة بسهو النسّاخ فمن ذلك انّ ثلاث كتابات حجريّة وُجدت في شمالي سوريّة تروي كلام الملائكة في مولد المسيح (لوقا ٢ : ١٤): «المجد لله في العُلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرّة» فقولهُ المسرّة ورد في الكتابات «εὐδοκία» (اي مسرّة الله) بدلاً من «εὐδοκίας» التي تغيّر شيئاً من المعنى فكانوا يشرحونها بقولهم: وعلى الارض السلام للناس ذوي المسرّة (بالله). فتبيّن المعنى وزال الالتباس

ومما استفادوهُ ايضاً بالمقابلة بين شواهد الكتب المقدّسة الاثريّة والمكتشفات العاديّة الحديثة انّ لُغة العهد الجديد وهي اليونانيّة ليست كما زعموا لهجةً بربريّة خاصّة برسل المسيح مبتذلة باصلهم الساميّ ولكن تحقّقوا انّ الحواريين في كتاباتهم التي خلّفوها من بعدهم انّما نطقوا بلهجة زمانهم اي باليونانيّة الشائعة في ذاك الزمان بين العامّة فتحاشوا اللغة الفصحى التي كان الادباء يتأنّقون بها في كلامهم مع علية الناس وفضّلوا عليها اللغة الدارجة اقربها من فهم العموم. والدليل على شيوع هذه اللغة بين اليونان في ذلك الزمان انّهم وجدوا في النيوم خزانةً من اوراق البرديّ ومن الخزفيات عليها الوفٌ من الكتابات اليونانيّة تحتوي على رسائل وصكوك ومعاهدات وفذالك ووصول كلّها من هذه اللغة المستحدثة التي كتب بها تلاميذ المسيح اسفار العهد الجديد فجاءت هذه المقابلة مثبتة اصحّة الاسفار الالهيّة كاشفة لبعض معاني الفاظها المستغلقة التي كانوا قبلاً يدّعون انّها لهجة خاصّة باليهود الساميين. ومنّ بيّنوا ذلك بتآليف خاصّة العلماء الانكليز والالمان (واكثرهم من البروتستانت) كثاير (Thayer) وكنّدي (Kennedy) في كتابهِ عن اصول يونانيّة العهد الجديد (*Sources of New Testament Greek*) وديسمان (Deissmann)

ولخت (Licht) وغيرهم الذين بيّنوا اصول نيف وخمسمائة كلمة كانوا قبلاً يزعمون انها من مخترعات كتبة العهد الجديد لجهلهم اللغة اليونانيّة فقرّروا انها كانت موجودة في الآثار اليونانيّة المكتشفة في الفيّوم وغيرها من النواحي

والامثلة المؤيدة لذلك كثيرة منها لفظة الاخ (ἀδελφός) فانهم كانوا يزعمون انها لا تدلّ على غير الشقيق وانّ معناهـا المجازي اي عضو الشركة لم يعرفهُ غير كتبة العهد الجديد. فبيّنت الكتابات المدنيّة انّ اللفظة كانت معروفة بمعنيَيهـا في ايام الرسل

ومن ذلك لفظة (ἱλαστήριον) التي لم يكن يُعرَف لهـا غير معنًى واحد اي غطاء تابوت العهد كما ورد في الترجمة السبعينيّة. امّا بولس الرسول ففي رسالتـه الى الرومانيين اتّخذ هذه الكلمة بمعنى «الفدى» او الكفّارة فقـال (٣: ١٤) عن المسيح «ان الله جعلهُ كفّارةً بالايمان بدمهِ لاظهار برّهِ بمغفرة الخطـايا» فظنّوا انّ القديس لم يُحسن اختيار الكلمة. لكنّ الكتابات المكتشفة في قوص وفي الفيّوم اوردت الكلمة بالمعنى الذي ذكرهُ بولس. وامثال اخرى كثيرة

وقد انجلت بفضل هذه الاكتشافات عدّة مشاكل كتابيّة كان خصوم الكنيسة يصوّبونها على الدين كسهام نافذة وقد اضحت اليوم معدودة في جملة السهام الطائشة فمن ذلك اكتتاب المسكونة الذي ذكرهُ القديس لوقا في الفصل الثاني من انجيلهِ وجعلهُ قبل موت هيرودس وولاية كيرينيوس على سوريّة فانّ العلماء حاولوا تخطئة الانجيليّ في ذكر هذا الواقع استنادًا الى تاريخ يوسيفوس اليهودي الذي سكت عن الامر وكذلك احتجّوا بكتابة مدينة انقرة التي ورد فيها ذكر اعمال اوغسطوس قيصر ولا ذكر هناك لهذا الاكتتاب. على انّ هذه الحجج وغيرها كان جمعها شُورر (Schürrer) في تاريخ اليهود قد بطلت الآن باكتشاف عدّة آثار بيّنت صحّة رواية الانجيل من جملتها كتابة لاتينيّة وُجدت في بيروت وهي اليوم في البندقيّة (CIL, III, 6687) تذكر اكتتاباً جرى في عهد كيرينيوس غير الاكتتابات المذكورة في تاريخ يوسيفوس وفي اثر انقرة. ومنها كتابة اخرى لاتينيّة وُجدت في تيفولي قريباً من رومية تذكر تعيين كيرينيوس كوالٍ على سوريّة مرّتين وبذلك تزول مشاكل أخرى كانوا ينسبون فيها الغلط الى لوقا زورًا

ومما عدُّوهُ من اوهام القديس لوقا قولهُ (٣ : ١) عن لوسانياس انهُ كان رئيس رُبع على ابيلينية في بدء بشارة يوحنا المعمدان ودعوة المسيح فقالوا انَّ لوسانياس هذا الذي جعلهُ لوقا ٣٠ سنة بعد المسيح انما عاش ٣٠ سنة قبل المسيح فيكون لوقا غلط بستين سنة في تاريخهِ. لكنَّ هذا الاعتراض قد فنَّدتهُ الكتابات المكتشفة حديثاً اخصُّها كتابة وجدوها في أبيلا في جوار دمشق (CIG, 4501) ذكرت لوسانياس آخر عاش في عهد طيباريوس كما روى الانجيليّ

وكم وجدوا كتابات أخرى رفعت في اعين العلماء الاثبات رتبة القديس لوقا فصاروا يعدُّونهُ من اصدق المؤرخين. وكثير من هذه الكتابات قد اكتشفوها في الشام كما تر يبرد (Clermont-Ganneau,RAO, 414-429) واثر فقرا (Jahrb d. k. d. arch. Inst., XVII, p. 107) وفي كليهما إثبات لما رواهُ لوقا عن اغريبا الثاني وبرنيقة. هذا فضلاً عما عثروا عليه من الكتابات في انحاء الاناضول التي تؤيد رواية الانجيليّ المذكور في كتاب اعمال الرسل حتى صار اعداء الدين نفسهم يدافعون عن محتويات هذا الكتاب وعن صدق نسبتهِ الى لوقا (راجع في المشرق ١٥ : ٢١ مقالة حضرة الاب ابراهيم حرفوش في سفر الاعمال)

ثانياً الكتابات وتاريخ الكنيسة

كنَّا نعرف من رواية المؤرخين الكنسيين ومن تآليف قدماء النصارى انَّ كنيسة السيد المسيح انتشرت بنوع غريب منذ ظهورها في كلّ اقطار العالم فجاء اكتشاف العاديات النصرانيَّة في معظم انحاء الدولة الرومانيَّة مؤيداً لهذا الواقع التاريخي ومزيقاً لمزاعم الملحدين الذين عوَّلوا على معارضة اولئك المؤرخين مدَّعين انهم بالغوا في وصف انتشار الكنيسة لغايات. فالكتابات الاثريَّة قامت من لحدها لتشهد بصحَّة اقوال الرواة الكنسيين ولو اردنا لرسمنا خارطةً واسعة تدلّ على البلاد والمدن والقرى التي ظهرت فيها تلك الكتابات النصرانية فيأخذ العجب كلّ القرَّاء لما يرونهُ من امتداد الكنيسة الى كل انحاء المعمور حتى لم يكد يخلو من بعض اعضائها اقصى مراكز الدولة الرومانيَّة ويتحقَّقون فعلاً ما كتبهُ ترتليانوس المعلم في دفاعهِ عن النصارى في اوائل القرن الثالث حيث قال للوثنيين: « اننا ابناء الامس وها نحن نملأ مدنكم وقراكم وشوارعكم ومنتدياتكم حتى لو تواريتا لخفتم من عزلتكم

وانفرادكم ». ومن رسموا خارطةً كهذه الاثريُّ الفرنسويّ لو بلان (Le Blant) لكنَّهُ اكتفى بخارطة بلادٍ غالية وحدها. فيستدلُّ منها الناظر على بسطة النصرانيَّة في تلك المواطن. فما قولنا لو فعل مثل ذلك عن اسبانية وايطاليـة وصقلية وانحاء البرتان وبلاد آسيـة والشام وعربية ومصر وما بين النهرين حتى العراق وفارس وتركستان. فالحقّ يقال انَّ هذه الاثريات احسن شاهد عن شيوع النصرانية وتحقيق كلمة السيد المسيح لتلاميـذهِ (اعمال ١: ٨): « ستنالون قوَّة الروح القدس الذي يحـلُّ عليكم فتكونون لي شهودًا في اورشليم وجميع اليهوديَّة وفي السامرة والى اقصى الارض »

ومما يزيد هذه المكتشفات اعتبارًا ويوليها قدرًا جليلًا انَّهـا لا تشهد فقط على انتشار الدين المسيحي بل تثبت ايضاً وحدة نظامهِ العجيب الذي وصفـهُ بولس الرسول حيث قال في رسالتهِ الى اهل افسس (٤: ٥): « للجميع ربٌّ واحد وايمان واحد ومعموديَّة واحدة » وقد نقلت احدى كتابات سوريَّة آية الرسول دلالةً على هذه الوحدة. ومعلوم انَّ الوحدة المذكورة لا تقوم دون رئاسة وخضوع كل الاعضاء الى رأس واحد وليس في الكنيسة رأس آخر الَّا الذي اقامهُ السيّد المسيح اعني بطرس حامل الرسل وخلفاءهُ على كرسي رومية

ومن ابدع ما اكتُشف في عهدنا تأييدًا لهذه الحقيقة كتابة حجرية وجدها سنة ١٨٨٣ قريباً من سنّاد في بلاد فريجية احد علماء البروتستانت و. م. رماي (W.M. Ramsay, *Cities*, p. 722-729) دعاها العلماء « ملكة الكتابات النصرانيَّة » وهي اليوم في متحف الفاتيكان وقد اهداها السلطان عبد الحميد الى قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في نسبة يوبيلهِ الاستقفي. وهذه الكتابة راقية الى اواسط القرن الثاني للمسيح كتبها ابرقيوس اسقف هيرابوليس لتوضع كصحيفة ضريحيَّة على قبرهِ وهي تحتوي ٢٢ بيتاً من الشعر اليوناني ذكر فيها ابرقيوس صفة نفسهِ « كتلميذ راعٍ صالح ارشدهُ الى الايمان وفهّم الاسفار المقدسـة » ثمَّ يروي سياحته الى بلاد مختلفة كسوريَّة وما بين النهرين حتى نصيبين مـا وراء الفرات ويخصص بالذكر « رومية العظمى التي وجد فيها ملكةً جليلةً لابسة حللًا ذهبيَّة وحذاء مرصَّعاً بالذهب والشعب التابع لها المختوم بخاتم النور ». ثمَّ يصف ما وجدهُ في رومية والبلاد التي

عاينها من التعاليم الالهيَّة والاسرار المحيية » ولاسيما الخبز والخمر والسمكة الرمزيَّة التي اصطادتهـا عذراء طاهرة ». وفي ختام الكتاب « اعلانٌ لمن ينهك حرمة القبر بدفع جزاء قيمتهُ الفا دينار للدولة والف دينار لوطنهِ هيرابوليس »

فكل من درسوا هـذه الكتابة من كبار الاثريين اقرُّوا دون تلبُّث وتردُّد بانها افخر شاهد واسطع دليل على شرف النصرانيـة في القرون الاولى للمسيح وعلى صفاء تعاليمها وعظمة اسرارها ولاسيا على رئاسـة الكنيسة الرومانية العليا فوق كل كنائس المعمور اذ هي ملكة العالم النصراني وشعبهـا هو الشعب المختار المختوم بختام نور المعمودية اللامع

وقد حاول بعض اعداء الكنيسة ان يطفئوا ضياء هذه الكتابة فاخترعوا المزاعم الغريبة ليثبتوا انها ليست كتابة نصرانيَّة الَّا انَّ ائمَّـة الاثريين ألقموهم الحجر وفنَّـدوا كل آرائهم الواهية فلم يبقَ اليوم مسَّن يجاريهم في زعمهم الَّا المكابرون للحقّ

وكما افادتنا الكتابات الاثريَّة انتشار الكنيسة ووحدتها كذلك تجد فيها ادلَّة نيِّرة على ما قاستهُ الكنيسة من الاضطهادات والمصادرات سواء كان من قبل الوثنيين والقياصرة الذين مثَّلوا بهم وقتلوا منهم الالوف المؤلفـة كما تشهد عليهِ الكتابات الموجودة على مدافن شهداء الديامس وغيرهـا او من قبل البدع المخالفة التي ناصبت كنيسة المسيح فشذبت الكنيسة تعاليمها وحرمت زعماءها . وفي الكتابات الاثريَّة ما يدعم ذلك وقد وُجدت بين الكتابات عدَّة آثار لبدع الادريين (Gnostiques) وللمونتانيين وللمانويين والدوناتستيين وغيرهم تصف مناصبتهم لكنيسة المسيح ولتعاليم الاباء . وكلّ هذه البدع قد دخلت في خبر كان اذ لم تكن مبنيَّة على الصخرة البطرسية

ثالثاً الكتابات الاثرية وتعاليم الكنيسة

رأيت في ما سبق ما افادت الكتابات الاثريَّة لتعريف احوال الكنيسة في حياتها الخارجية وليست الافادات عن حياتهـا الداخلية دونها شأناً وهاك البرهان على ذلك

(دستور الايمان) معلوم انَّ دستور الايمان يقوم باعتقـاد الهٍ واحد في ثلاثة

اقانيم آب خالق لكل الموجودات وابن متجسد في احشاء بتول ليفدي البشر من تبعة خطيئتهم وروح قدس منبثق من كليهما. ثمّ اعتقاد كنيسة واحدة جامعة رسولية مع الايمان بالقيامة العتيدة

فكل هذه المعتقدات قد وردت في الكتابات الاثريّة على صور شتى تتّفق جوهرًا وتختلف عرضاً. فتوحيد الله لا يُحصى عدد الآثار التي تكرّر فيها ذكرهُ هكذا: « الله واحد هو. ليس الّا اله واحد. الله الواحد الصمد. الله الملك السرمدي » او على صورة الدعاء: « لله المجد. الهي ارحمني. ربّي أغثني. يا الله أجرني من العذاب. اللهمّ أنقذ شعبك. اذكرني يا ربّ في ملكوتك »

ومثلها عددًا الكتابات التي تذكر الثالوث الاقدس على هذا المنوال: « باسم الثالوث الاقدس. ما اعظم قدرة الثالوث الالهيّ. المجد للاب والابن والروح القدس »

واكثر منها عدًّا الكتاباتُ الواردة على اسم السيّد المسيح والمُعلنة بلاهوتهِ على هذه الصور: « اله واحد مسيح واحد. هو المسيح ابن الله. حيثما يحلُّ المسيح فاز الانسان بالسعادة. اختم يا ربّ هذا البيت بختمك وختم ابنك الالهيّ. هنا يسكن المسيح ابن مريم فابتعد يا ابليس. النصر والفوز للمسيح الاله. هذا مسكن المسيح المنتصر ومعهُ الايمان والرجاء والمحبّة. هو الفادي هو مخلّص العالم ». او يختصرون ذكر صليب الربّ هكذا: « فاز الصليب بالنصر. انتصر المسيح بصليبهِ. بازاء الصليب تسقط قوّة العدو. بهذه العلامة أنتصرُ على سائر اعدائي »

ومما تمتدّ ذكرهُ خصوصاً على مدافن المسيحيين ذكرهم للقيامة ورجائهم بالبعث في يوم الدين حتى لا يكاد يخلو منها قبر واحد في بعض الامكنة كبلاد غالية وغيرها على صور مختلفة. مثلاً: « هنا فلان راجي القيامة. سلام لفلان. ريثما يحظى بالقيامة. نِح يا ربّ فلاناً وأقمهُ في اليوم الاخير مع اوليائك. وعلّم جزًا

(الاسرار) الاسرار المقدّسة السبعة هي التي تحيي الايمان في قلوب النصارى وتستمدّ لهم النعم من الربّ. والكتابات النصرانيّة القديمة مملوءة من ذكرها وتعظيمها وعلى الخصوص سرّ المعموديّة وسرّ القربان الاقدس

فالمعموديّة ورد ذكرها في هذه الكتابات برموز عديدة فتارة يدعون النصرانيّ

العنّد « مؤمناً ومثبتاً بالايمان » وتارةً يصفونهُ بكونهِ « منوَّرًا » وحيناً يُدعى « مختوماً » اي بختم العماد او « مُنعَماً عليهِ » او « مطهَّرًا بماء العماد » ولا يذهلون عن ذكر معموديَّة الصغار انفسهم فيعلنون بانهم ماتوا « بعد قبول نعمة الله » وان توفي الميت لابساً ثوب العماد الابيض صرَّحوا بهِ في الكتابة المدفنيَّة

وكما تزهَّوا بذكر سرّ العماد كذلك ذكروا سرّ القربان الاقدس . وقد رأيت في كتابة ابرقيوس كيف اشار في كتابة قدمهِ اشارةً لطيفة الى هذا السرّ فروى « انَّ الايمان قد غذاهُ في كلّ البلاد التي حلّها بسمكةٍ كبيرةٍ نقيَّة اصطادتها عذراء طاهرة ليأكلها دون انقطاع اصحابها » ولا شكّ انَّ ابرقيوس نوى بذلك سرّ القربان وقد دعاهُ بالسَّمكة لأن السمكة كانت رمز السيّد المسيح وكثيرًا ما صوَّروها في الديماميس والمعابد النصرانيَّة وكانوا يجدون في خمسة حروفها اليونانيَّة (ΙΧΘΥΣ) خلاصة صفات المسيح اعني « يسوع المسيح الاله الابن المخلّص » . وقد سبق المشرق (٤ : ٦٧٣ — ٦٨١) واثبت فصلاً واسماً عن « سرّ الافخارستيَّة في العاديَّات المسيحيَّة بقلم القس بطرس عزيز (وهو اليوم مطران سلمست) فتحيل اليهِ القرَّاء ويجدون هناك عدَّة شواهد جليلة على ما ذكرنا من جملتها كتابة ابرقيوس في اصلها اليونانيّ .

وفي تلك العاديَّات اشارات الى بقيَّة اسرار الكنيسة كالتثبيت الذي كانوا يمنحونهُ مع المعموديَّة والتوبة والكهنوت وسرّ الزواج وان كان ذكرها اقلّ من ذكر المعموديَّة والقربان لقلَّة الدواعي الى ذكرها

(الطقوس البيعيَّة) ترتقي الى زمن الرسل جوهريًّا لكنَّ رؤساء الكنائس قد راعوا في ذلك الظروف المكانيَّة والزمنيَّة فكانوا على حسب احوال المؤمنين يتسمَّحون في الصلوات وضروب العبادات والنوافل لا سيما في المواسم السنويَّة والاعياد الحافلة مع حفظهم للاقسام الجوهريَّة التي تُرى حتى يومنا في كلّ الطقوس الشرقيَّة والغربيَّة . وفي الكتابات القديمة نصوص منقولة عن تلك الطقوس الشبيهة بالطقوس الشائعة في زماننا

وكثيرًا ما وردت تلك النصوص مصحوبةً باسم قدّيسين وشهداء يستمدّ اصحاب الكتابات شفاعتهم ويطلبون معونتهم وكانوا يجعلون في مدافنهم ذخائر اولئك الشهداء . وقد وجدوا في احد قبور نصارى القرن الرابع مع ذخائر للشهداء

قطعةً من صليب الربّ الذي اكتشفتهُ الملكة هيلانة امّ قسطنطين وذخائر اخرى من الاراضي المقدّسة (١ . وناهيك بذلك برهاناً على اكرام القديسين وذخائرهم في الكنيسة منذ اوائل النصرانيّة خلافاً لما زعم البروتستانت

ومن فوائد الكتابات النصرانيّة الماديّة انها تعرّفنا بكلّ النظام الكنسيّ وتعدّد كلّ درجاتهِ من القارئ البسيط والشمّاس الى أئمّة الاحبار . وكم افادتنا من اسماء اساقفة مجهولين لا يحصى عددهم وكم اثبتت من اسماء كراسيّ اسقفيّات في مدن صغيرة بل في بعض القرى . فمن يا تُرى كان يخيل لهُ بان بلدة صغيرة كمادبا التي لم تزد مساحتها عن ميل واحد مربّع كانت تحتوي عشر كنائس وكان يسوسها اسقف لولا اكتشاف الفسيفساء العجيبة التي وجدوها فيها منذ عهد قريب . وقس عليهِ بقيّة انحاء الدولة الرومانيّة

ومن فضل هذه الكتابات قد عُرف مقام رئيس الكنيسة جماء وسلطانهُ الاعلى على كلّ كنائس المعمور . وفي المشرق (٧ : ٥٧٧ — ٥٨٥ السنة ١٩٠٣) مقالة خاصّة للاب ل. جلابرت في وصف الماديّات المنبئة برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ على كنيسة المسيح مع عدّة تصاوير جميلة فحسبنا الاشارة اليها حذراً من التكرار الممل

ومن درس الكتابات النصرانيّة التي نحن في صددها وقابل بينها وبين الكتابات الوثنيّة وجد ما كان للدين المسيحيّ من الفضل اذ غيّر وجه العالم بعد فسادهِ ورحض كلّ ارجاس الوثنيّة وادخل في الهيئة الاجتماعيّة كلّ الفضائل التي ترفع بقدر الانسان وتقدّس حياتهُ وحياة اسرتهِ وعيالهِ وتمدّ للوطن رجال فضل وفضيلة يفوقون على مشاهير رجال الوثنيّة كما تفوق الثريّا على الثرى . فانّ هذه الكتابات لا تصف فقط العيشة الرهبانيّة ونسك السيّاح بل تذكر الفضائل الاهليّة التي لم يكد يعرف الوثنيّون اسمها فضلاً عن جوهرها كالتواضع والوداعة والتُقى والعفاف وحبّ الاعداء والتفاني في سبيل المنكوبين وغير ذلك ممّا يعود فضل تعميمهِ بين البشر الى كنيسة المسيح وحدها

واخصّ ما يُستفاد من تلك الكتابات تجرُّد اصحابها عن هذا العالم واعراضهِ

(١ اطلب P. Monceaux: *Epigr. chr. d'Afrique*, n° 297, 317, 319

ومنذآته ليرفعوا بنظارهم الى دار البقاء حيث ينتظرون المجد الابديّ . ومن ثمّ لا يكترثون لاوجاع هذه الفانية ونكباتها ويغتبطون على مثال المسيح ضنك العيش وحمل الصليب ليحيوا معهُ الى الابد . وترى اصحاب تلك الكتابات يزدرون بالموت ويعدّونهُ كباب الخلود ويعتبرون المقابر كمنامات يرقدون فيها لزمن قصير

وكان بودّنا أن نؤيد كلّ ذلك بالشواهد المنقولة عن الكتابات الاثريّة لولا خوفنا من الاسهاب ومن اراد الزيادة أحلناهُ الى كتب عديدة وُضعت في تعريف العاديّات النصرانيّة في كلّ اللغات الاوربيّة والى مجلّات خاصّة تظهر في اوقات معلومة تفيد من كلّ اكتشاف جديد حتى اصبح علم العاديّات النصرانيّة فنًّا قائمًا بذاتهِ أقاموا لهُ في بعض الكليّات اساتذة من الاثريين ليدرّسوا اصولهُ وميزاتهِ وقوانينهُ ومحتوياتهِ الرحبة الافناء . ارشد الله اهل هذه البلاد الى تتبع اذهانهم بدرسها لا سيما العاديّات المكتشفة في بلادنا . فمن المستغرب ان يسبقنا الغرباء الى معرفة تاريخ بلادنا ومفاخرها ونحن نكاد نجهلها تمامًا

صندوقٌ اسرار صنه اعمال الاحرار

بقلم قوّال لبناني

كنّا انتهينا في كراريسنا عن الماسونيّة الى الجواب الماسونيّ ونقّضنا قمرهُ على أنّا عدلنا عن كوارعهِ مؤجلين النظر فيها لفرصة أخرى فسبقنا احد المبيّضين باحوال الشيمة وتقلّد مكنونات تلك الكوارع فوجد في الزوايا خبايا فأفاد مواطنيهِ عن مكتشفاتهِ ونظمها شعرًا من الشعر العاميّ اللطيف فاتحفنا بنسخة منهُ . وها نحن ننقل عنهُ قطعةً تنويهًا بفضل صاحبهِ المجهول . وهي تحتوي خبر صندوقهِ وجدها المفتش في ملحقات الكوارع تتضمّن كثيرًا من اعمال الماسون فانشد لا فُضّ فوه :

ل . ش

فتحتُ الصندوق باستعجالْ حظيت بعلبه من جفصينْ
فيها يسجلّ الاعمالْ مزركش بزرّد ثمينْ
فرحت ونزلوا دموع عيني وقلت تمّ المقدّرْ
بيظهر ربّي داعيني من قبل ما اتصوّرْ

تاعن ايدي المسكيني مشاريع الماسون تظهرْ
وتُنشر في كل مديني ويُعرف فضل المُفضلينْ

للحال مسكت دني وفي كفي نقرته تا ونْ
نقرته تا رنْ بكفي وقلت لهُ بلّش بالفنْ
بلحن القرادي كفي من حيث حروفه احنْ
وحقّ براهينك وفي وخلي الجميع مقتنعينْ

جاوبني بلسان الحالْ يا قوّال تحت امركْ
تحت امرك يا قوّالْ ما بخالف وحياة عمركْ
افتح سجلّ الاعمالْ وقول ايش ما عنّ بفكركْ
علّه بيرتدّ الجهّالْ وبيفيقوا حاج سكرانينْ

فتحت سجلّي ونوّيتْ طالع اعمال الاحرارْ
ببلاد الغرب ابتديتْ تا اعرف فيها شو صارْ
اول مشروع خير لقيتْ طرد الرهبان الكبارْ
ومنعُن من ان يقتنوا بيتْ او يتسنّوا ملّاكينْ

سمعت الشيخ كومب بصياحْ بيشرقط مثل البارودْ
وبيقول حالف ما برتاحْ حتى لاشي تياب السودْ
شو من وراهم ارباحْ الّا صلاه مع سجودْ
وان حلّوا مساوصباحْ من ذلك ايش منتفعينْ

يا ماسون ان كنتوا رجالْ ما عاد بدها براديّهْ
رزق الرهبان كلّه حلالْ للشيعه الماسونيّهْ
عندهم رزق واموالْ مليار — ليره — نقديّهْ
منتقاسها بالعدالْ بيطلع للفرد ملايينْ

عالقليل منتخاسْ من الوعظ والرياضاتْ

حـاجي يوميّة الاجراس تقرع سبع قمان مرّات
طحاونا بكلمة خلاص وجهنّم وسـوات
واعتراف وقانون وقصاص وفصحيّة وصيام خمـين

في الخيل وفي نبوّات تاملّي بيكربونا
ملّا الخيل خرافات بيدينه بيلحقونا
حلّو يعتق يا سادات خليهم يعتقونا
ما بقـا بدنا قأوسات صرنا منهم طفرانين

ومن بعد كوب الملفان نهض واحد عا زير
وبافصح لهجه ولسان ثبّت كل كلام خيّر
ثم هتف يا اخوان تهيّوا لخطابي تهيّوا
عندي راي كبير الشان ديروا دَيْنة اليمين

نحنا من قبل النجوم خلقنا واحرار ربينا
ومن عهد آدم لليوم ما احد تحكّم فينا
بابا رومي ايش فيه لزوم يتحكّم برقـابينا
واجب سوى عليه نقوم وعنهُ نكون مستقلين

يا للخطبه النفيسه ويا للخطيب الجبّار
بحركة يد وتعبيسه حنّس جميع الحضّار
صاحوا ككلاب عا وقيسه صيحة رجف منها الدار
وقالوا حكومه وكنيسه ضروري يكونوا منفصلين

وبعد مشهد هيك مهول بيقول سجلّ الاعمال
سجل الاعمال بيقول خطيب تالت فزّ وقال
بعد في مشروع مجهول كان واجب يعطالو بال
هو جعل الزواج محاول من ساطة المطارين

ايش في داعي يا اخوانْ حتى الخوري يعانّا
ويربطنا طول الزمانْ برا ما تعود تعتقنا
خلّي القاضي بالديوانْ يجوّزنا ويطلّقنا
ومن ضمّ نبدّل نسوانْ تا يصيروا فوق التسعينْ

هيدي ثلاث مشاريعْ مذكوره براس الكتابْ
نفعها عمّ الجميعْ ايش في لشيخو عليها جوابْ(١)
وقد تمرت تمر بديعْ عافرنسا بدون ارتيابْ
وانجحتها نجاح سريعْ لحق صيته بلاد الصينْ

بالاول كانوا الرهبانْ يربّوا اولاد المدارسْ
عاروح طاعة الرحمانْ وتكريمه بالكنائسْ
اليوم البنات والصبيانْ هجروا الله بالخاصْ
وعبدوا عوض الصلبانْ الطرقه ونقير الطينْ

تركوا الصليب بالمرّهْ وبدلوا تعليم المسيحْ
في تعليم صقل الفرّهْ واتقان الشنير مليحْ
صارت الافكار حرّهْ وفلتوا فلته من صحيحْ
والحيا شلحوه برّهْ وما عادوا مستحيينْ

كلمة عيب واسم حرامْ شالوها من القواميسْ
وكلمة هوا واسم غرامْ صارت موضوع التدريسْ
لفظة يسوع ومريمْ قلبت عروس وعريسْ
برابر برابر ملا نظامْ عملتوه يا ماسونيّينْ

حكموا في النا تنسيقْ ونظامْ الرهبانيّاتْ

---

(١) حقًّا قد افحمنا الماسون فلا غير جوابًا ونقفي بانّ لهم اليد الطولى في المشاريع الخيريّة والمساعي الشريفة

حيث كان يقضي بتفريق دروس الصبيان عن البنات
وحطوا لكل رفيقه رفيق يسليها بعض المرات
حتى في اكثر تدقيق يكونوا الاولاد مضبوطين

غنا غنا يا ماسون هيدي مشاريع خيريه
هيك الاصلاح هيك يكون يا ما بلاه بالكليه
خلعتوا الحيا من العيون وسرتوا بمبدا الحريه
حتى يتصلح الكون ويخف الشر اللعين

لكني انا محير كيف ما حلوا لحد الآن
مفعول الاصلاح يظهر ويتصلح طبع الانسان
الفظايع ليش عام تكثر وعازيادي لا عانقصان
وفرنسا عام تتقهقر بعكس ما متراجيين ؟

ايش السبب تا الحبوس قد ضاقت عالمحابيس
وكثروا سراق الفلوس والسكريه والمناحيس
كيفتا رئيس الدروس عامل للزعران رئيس
ومهذب ميل الانفوس صاير اول الرزلين ؟

طردتوا الرهبان من الدور ومن كل التشفيات
حيث كان ظهر منهم قصور بخدمة اصحاب الماهات
كيف تابعد ثلاث شهور صاحوا المرضى بالطرقات
ردوا لنا بنات منصر سواهم ما لنا معين

وطاردتوا الرهبان والكل من فرنسا بوجه العموم
حتى الدين معهم يفل والحريه بداله تقوم
كيف تلبقي الشعب يذل وحق الغير بقي مهضوم
وضاق بالمقابر المحل عالقتلى والمنتحرين

درّجتوا كتاب الطلاق وعملتوا الحرام حلال
تا تزيلوا سبب الشقاق بين المرا والرجّال
كيفتا بدل الرواق كلمالو ازداد القتّال
ومتى الصبي لحاله فاق ما بيعرف امه مع مين ؟

ليش هالتشويش المضرّ سايد يا ماسون فيكم
وليش شرايع كومب الحرّ عن الدين ما بتغنيكم
حدا في هالسر يقرّ او بكفر بمباديكم
وان قرّيتوا معي بجرّ شيخو وناس غيره كتيرين

ثم اتبع الشاعر نظمهُ البديع واخرج من صندوقهِ طُرَفاً غيرها عن الماسونيَّة في البرتغال وسواها وختم بقولهِ :

الخلاصه يا كاثوليك بنبهكم وبوصيكم
اتركوا مذهب التعليك واثبتوا في مباديكم
من الشوك ما بيطلع فريك الشوكه شوكه بتعطيكم
التمرة عالشجره بتنبيك ان كانت عنب او تين

لا تخدعكم المواعيد بُطلها صاير مفهوم
قشر ذهب جوف وقيد اشبه برمّان صادوم
من صدّقها وصار سعيد وما تأكّد انهُ موهوم ؟
والبريد يزداد تاكيد يسأل بعض المدوعين

. . . . . .

تلك نبذة من هذه المنظومات المستطرفة التي سيتفكّه بها كل اهل لبنان صغارًا وكبارًا فتصيب قلب الماسونيَّة بسهم صائب

سياحة

في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تابع)

٣ من قلّث الى مذيات

في فجر يوم الاربعاء ١٣ ايلول غادرنا قلّث وتوغّلنا في الجبال ورأينا عن بعد آثار اديرة ومناسك مختلفة حتى وصلنا الى (تفه) واهلها مسلمون من المحلّميّة ليس فيها من الآثار ما يُذكر. ثم استأنفنا المسير الى (عين كاف) واهلها كذلك من المحلميّة وهي قريبة من قرية (نونب) والى جنوبيها قرية (حلدح) (١ تحيطها مغاور الزهّاد و(شور آصبح) (٢ التي كان الشمّاس ايليا (٣ ابن الكزير الماردينيّ قد قصدها سنة ١٧٠٧ فخطر على بالنا استحضارهُ لشراب البطيخ قال انهُ كان يحضر بطّيخاً وعسلاً فيشقّ البطيخة ويملأها ملعقتين عسلاً ويدعها في الشمس ثم يعصرها ويستخرج منها مقدار مائة درهم من العرق الحادّ القويّ. وكان اذا حضر اليه احد وطنيّيه وسقاهم منه أخذهم العجب من اختراعه. واقام ابن الكزير في شور اصبح شهرًا كاملًا ثم انتقل الى عين كاف وقالوق حيث ألفى كنيسة فخيمة. وهي من آثار يوحنا مطران ماردين (ت ١١٦٦) وقد ذكرناها ههنا

ثم توجّهنا الى قرية يقال لها دير زبينا (ومعناهُ واحمعل) واسمهُ اسم احد تلامذة مار اوجين. واهالي هذه القرية كلّهم مسلمون من الطائفة المحلّميّة وهم يقرّون حتى يومنا بانهم كانوا نصارى ثم اسلموا. وتفقّدنا جامع القرية وهو كبير وناحيتهُ الجنوبيّة متداعية وكذلك سورهُ الشمالي ويلوح فيه اثر للمذبح في الجهة الشرقية يقصدهُ الناس للزيارة. وعلى بابه بعض النقوش تمثّل صورة ابريق وكفّ ذات ثلاث اصابع. وعلى الباب الثاني نقوش متقطّعة. وفي فنائه قبّة قديمة والى جانب البئر لمحنا حجرة مربّعة

---

١) راجع المشرق (١٥: ٧٠٨) وقد رويت هناك «خلدة» غلطًا

٢) المشرق (١٢: ٦٧١)

٣) ارتسم كاهنًا سنة ١٧١٢ رسمهُ المطران احنوخ في دير الزعفران

مرقومة بحروف كوفيَّة حاولنا ان ننسخها فلم يسمح لنا الشيخ . واعلم ان لهذه القرية سوراً آثارهُ ظاهرة . وشرقيَّ الجامع بناء فخيم جدرانهُ ظاهرة ويلوح انهُ كان ديراً او كنيسة . وبعد هذا ركبنا الى (استل) واهلها مسلمون من المخلَّميَّة ابتنوا فيها جامعاً حديثاً ثم سرنا الى (مذيات) فبلغناها عند الغروب ونزلنا في كنيسة طائفتنا فتحفَّى بنا حضرة القس بطرس حنَّال الافرامي النائب البطريركي وبالغ في اكرامنا

٤ مذيات — بطاركة طور عبدين ومطارينها

مذيات او مديات (ܡܕܝܬ) قصبة طور عبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحدق بها الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار المثمرة واهلها يشربون مياه الآبار وهي مركز قضاء يحكم فيها قائمقام يراجع متصرّف ماردين ووالي ديار بكر واهلها يبلغون من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة معظمهم يعاقبة وفيها ثمانون عائلة من البروتستنت وخمسون من الاسلام وثلاثون بيتاً من الكاثليك من سريان وارمن وكلدان . ولنا فيها كنيسة صغيرة شادها الاب يوسف لابورد اليسوعيّ الذي قصد مذيات سنة ١٨٥٠ وسعى سعياً حثيثاً لنشر الايمان الكاثليكي ولقد كانت اتعابهُ اتت بالثمار المخصبة لولا تعصُّب الجليين وجهلهم الفليظ واغراؤهم لمأموري الدولة به فنفوهُ . ولغتهم هي السريانيَّة المكسَّرة والكرديَّة والتركيَّة ايضاً . وكثيراً ما جرت بين الاكراد واليعقوبيَّة فتن ومنازعات ثبَّطتهم عن التيسار في سبيل التقدُّم والعمران روحيًّا وزمنيًّا (١

وكان يسكن مذيات عند زيارتنا اياها غبطة البطريرك عبد المسيح (٢ الذي اعتنق الايمان الكاثليكي بمساعي الخورفسقوس يعقوب الملكي في القدس الشريف

---

١) المشرق (١٥ : ٨٠٦)

٢) سافر من مذيات الى الملبار في غرَّة ايَّار ١٩١٢ ولبث ثلاثة ايَّام بالموصل حاول فيها اليعاقبة المواصلة ان يثبّطوه عن الذهاب فلم يتكنوا . فركب الى بغداد وحلّ كنيستنا وكذلك في البصرة ثم سار الى الملبار ورسم لليعاقبة مغريانًا ومطارنة ثم عاد الى القدس الشريف في اواخر اذار ١٩١٣ وفي نيسان انرّ بالايمان الكاثوليكي كما ذكرنا

في ١٠ نيسان ١٩١٣ ثم قدم الى بيروت واقرّ بالايمان الكاثوليكي في كنيستنا بحضور قبطة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني في ٣ أيار سنة ١٩١٣

. واعلم ان رئاسة مذيات الروحية كانت منوطة بطرانية دارا ثمّ بفرانيّة تكريت على ما اوردناهُ في المقدّمة . غير انهُ منذ القرن الرابع عشر تبلبل النظام واستفحل الشقاق فقام بطاركة ومطارنة واساقفة لملّة او ابرشيّة او قرية واحدة. واوّل من تولّى رئاسة طور عبدين وثوى مذيات كان سابا ابن القسّ ابي حسن مطران صلح الذي جاء به اساقفة طور عبدين الى ماردين في جمهور من المشايخ والشعب واستمنحوا اسمعيل البطريرك (†١٣٦٦) الصفح عن مخالفتهم وصيّة الصوم فرفضهم البطريرك فعاد نفرٌ منهم الى الجبل ساخطين ورسموا سابا بطريركاً في ٦ آب ١٣٦٤ ورسّموه اغناطيوس وهو اوّل بطاركة طور عبدين . واضطرّت الاحوال قسماً صالحاً منهم الى هجر اليعقوبيّة والدخول في الاسلاميّة كما نوّهنا بهِ في المقدّمة . وبعد وفاة اغناطيوس سابا خلفهُ سنة ١٣٨٩ يشوع المذياتيّ (†١٣٩٦) ثم مسعود (†١٤٢٠) ثم اخوخ العينورديّ مطران قرتمين (†١٤٤٥) ثم قوما الباسبريني مطران قرتمين (†١٤٥٥) ثم يشوع العينورديّ (†١٤٦٦) ثم فيلكسين مطران حاح وهو عزيز بَرْسبتا وتوفي في حصن كيفا سنة ١٤٨٨ وخلفهُ البطريركان شابا ويوحنا وتوفي شابا سنة ١٤٨٩ ويوحنا سنة ١٤٩٣ وتولّى مكانهما مسعود الزازي سنة ١٤٩٥ ولهُ كتاب سرياني في السيرة الروحيّة الرهبانيّة اسمهُ ﻣﺴﻌﻮﺩ وهو الذي رسم سرًّا اثني عشر قسًّا فنقض عليهِ آل طور عبدين وسجنوا بطريركهم في البيعة اربعة ايّام ثم انهزم الى قرية كليبين باردين واوفد الى الجليليين رسالة حرم فيها كل من يرسم بعدهُ بطاركة لطور عبدين. بيد ان حرمهُ لم ينفذ الّا زمناً وجيزاً. على ان الجليليين رسموا غير المذكورين آنفاً منهم اغناطيوس شمعون الحاجي (ﻳﻮﺣﻨﺎ) سنة ١٥٤٩م كما يستفاد من تاريخ كتاب فرض الصوم خاصّة دير مار مرقس باورشليم . ومنهم اغناطيوس يعقوب الذي استوطن دير صلح كما ذكرنا في كلامنا عن فنقيث قاث الصيفيّ المنسوخ سنة ١٥٥٣ ومنهم البطريرك حبيب المذياتيّ الجاهل الكتابة سنة ١٦٧٤ وكان اذ ذاك عبد المسيح الهاويّ (†١٦٨٦) البطريرك الشرعي وفي عهد حبيب ثارت فتنة عمياء في الجبل اضطرّت حبيب على الهرب بزيّ راعٍ الى

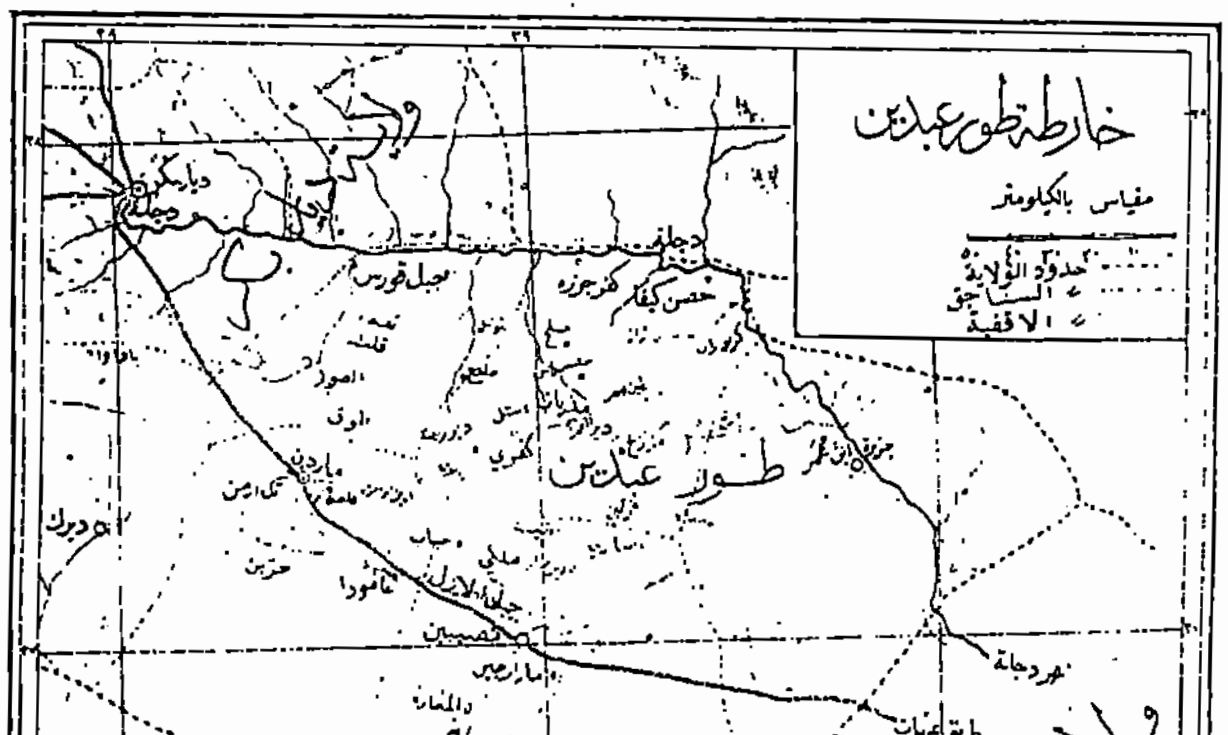
خارطة طور عبدين
مقياس بالكيلومتر
حدود الولاية
الساحق
الاقفية
دجلة
خصن كيفا
كفر جوزه
جبل قورس
الصور
طور عبدين
ماردين
تل ارمن
حزرن
ثاموذا
جبل الاثل
نصيبين
نهر دجلة
طريق غربيات
جبل سنجار
ولاية الموصل
ولاية حلب
متصرفية الـ ١٩

احدى خيم العرب فشعر الجليُّون وبادروا اليهِ واتوا به الى مذيات . ومنهم يوحنا البطريرك الذي رسمهُ متى بطريرك ماردين الدخيل في حياتهِ سنة ١٨١٧ ورفضهُ البطريرك جرجس خليفتهُ في دير الزعفران وناصبهُ فهرب يوحنا الى قرية حباب واستوطن دير مار ايليا خمس سنوات حتى مات († ١٨٢٢) وفي عهد بطريركيته كان في طور عبدين اربعة بطاركة كما قرأنا في تاريخ انجيل كنيسة شمعون الزيتيّ المعروف بابي قرّه بجبناس الفوخ سنة ١٨١١ في عهد البطريرك متى وآحا واشعيا ويوسف . وسنة ١٨٢٥ كان غريغوريوس زيتون المذياتيّ من آل جلما (١ المشهورين بطريركاً لطور عبدين وظلّ هكذا حتى سنة ١٨٣١ فنبذ اليعقوبية وتبع المثلث الرحمة البطريرك انطون سمحيري سنة ١٨٤٦ ومات سنة ١٨٨١م

اما القارين الذين تولوا رئاسة طور عبدين فمنهم باسيليوس شمعون من كفر شامع كما ذكرناهُ في كلامنا عن فنقيث قلّث سنة ١٥٥٣ واشهرهم القريان غريغوريوس شمعون اصلهُ من قرية باتهِ وتطرن على اورشليم ثم سيم مقريانًا لطور عبدين سنة ١٧٨٦ في عهد البطريرك ميخائيل جروه († ١٨٠٠) ولهُ بعض التصانيف ذكر منها الاب ل . شيخو اليسوعي (في مجلة المشرق ٩ : ٦٥٠ و ٦٥١ تحت عدد ١١٢) كتابين الاوّل لمار غريغوريوس شمعون القريان الطوراني في التريصاجيون على المذهب اليعقوبيّ والثاني لباسيليوس شمعون القاتوليق اي القريان وهو عين القريان المؤلف مقالة التريصاجيون وهذا الكتاب الثاني يتضمّن شرح الصلاة الربيّة . وذكر ايضاً الاب ل . شيخو تحت عدد ١١٣ كتاباً آخر يتضمّن اربع مقالات للاب الفاضل القريان شمعون ولهُ كتاب لاهوت مختصر اسمهُ (الحمل) منهُ نسخ شتى ولهُ خطب على مدار السنة منهُ نسخة في دير الزعفران . فهذه الكتب كلها هي تأليف القريان شمعون الطورانيّ الذي ذكرناهُ . ومنها نسخ شتى في دير ماردين ذُكر فيها اسمهُ صريحاً . ولهُ ايضاً ميامر سريانيّة وكرديّة في التوبة ومقالة في شرح القدّاس على المذهب اليعقوبيّ . اما تسميتهُ تارة غريغوريوس وطوراً باسيليوس فسببهُ انّ

---

١) من آل جلما تتفرّع عائلة كَدّا او ابنو الماردينيّة اصلهم من مذيات فهجروها واستوطنوا ماردين وكانوا في مقدّمة الذين تبعوا البطريرك انطون سمحيري في الايمان الكاثوليكي

صاحب كرسي اورشليم يسمّى غريغوريوس وصاحب كرسي الفريان يسمّى باسيليوس عند اليعاقبة

كنيسة فيلكسين او اخسنايا

تعهّدنا في مذيات بيعة كبيرة متهدّمة منسوبة لفيلكسين الغريب (احصصما) مطران منبج († ٥٢٣) الشهير بتعصّبه للمنوفستيّة . وآثارها ظاهرة وسوقها الواحد معقود بالاجرّ ورواق المذبح معقود بحجارة ضخمة . ولها بابان وفي جنوبيها مقبرة يليها بيت آخر فيه ضريح حبيب البطريرك المشار اليه . وفي الناحية الثانية ضريح آخر يزعم المذياتيّون ان فيه هسامة اخسنايا ولكنّهم متوهّمون . على ان اخسنايا وُلد في تحل بباجرماي ثم ظعن ابواه الى باسبرينا ولمّا شبّ وترعرع سار الى دير قرتين وانقطع الى الدرس فبرع في السريانيّة واليونانيّة ثم سار الى الرها وتلمذ بانطاكية فاتقن اللغات والمعارف وغدا نابغة زمانه وفسّر العتيقة والحديثة من اليونانيّة الى السريانيّة (١ كما ذكر يعقوب الرهاويّ († ٧١٨) ثم رسمهُ بطرس القصّار بطريرك انطاكية سنة ٤٨٥ مطراناً لمنبج . فاشتغل بالتصانيف حتى بلغت تآليفهُ مائة وسبعين مجلّداً . وهو الذي رسم سويرا بطريركاً لانطاكية في مدينة صور سنة ٥١٢ وزُجّ في السجن خمس سنوات لشدّة تعصّبه للمنوفستيّن ثم سيق الى غنغرا حيث خُنق في اتون الحمام في ١٠ كانون الاوّل ٥٢٣ . فحمل جثّتهُ ابن اخته الى منبج وجعلها في ضريح رخام . ولمّا خربت منبج بعد ذلك بقليل (٢ نهض نفر من ذوي اخسنايا وحملوا هامتهُ الى طور عبدين وشادوا عليها كنيسة في مذيات سمّوها كنيسة اخسنايا الى اليوم . وسنة ١١٤٥ دوّخ الاكراد طور عبدين ومذيات واخذوا الصندوق والقوا هامة اخسنايا في الازقّة فحملها مطران مذيات ووضعها في هيكل دير مار ابرهيم (٣

---

١) روبنس دوتّال (ص ٦٤ و٦٥)

٢) كان خراب منبج اخيراً على ما ذكر ابو الفداء سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣ م) في منتصف شعبان على اثر زلزلة عظيمة اقلّت سكانها وازالت عماشها فقال :

منبج اهلها حكَوا دودَ قزٍ عندهم نجمل البيوت قبورَا

٣) نقلنا هذه الرواية عن نسخة سريانيّة نُسخت في القرن الرابع عشر

وتعهّدنا في مذيات ايضاً بيعة العذراء مريم الحديثة البناء وبيعة برصوما الجديدة وقد انتهى بناؤها سنة ١٩١٠ وزرنا دير مار شربيل (١ وبناؤه حديث ايضاً يقطنهُ ثلاثة رهبان وكنيستهِ مبنيَّة في عهد البطريرك بطرس (†١٨٩٤)

ثم تقدَّمنا بيعة الشهيدة شموني وهي صغيرة لكنَّها الاولى عند الذياتيين وهي كنيسة الرعيَّة . واليها على ما قيل نُقلت كتب اديار طور عبدين كلها لئلَّا تأخذها يد الضياع . كنَّا نعلم نحن بالكتب القديمة الموجودة فيها ككتاب تعليم الرسل (ومعهدل) وغيره . فبالغنا في الالحاح والتمسنا ان يُرونا المكتبة فأخفق أملنا غير اننا لمحنا في الكوَّة كتاباً فمددنا اليه فاذا هو كتاب الهدايا لابن العبري منسوخ في ١٩ آب سنة ١٣٣٥ م فعثرنا في آخرهِ على قوانين لابن الصليبي يليها القانون السادس من قوانين الرسل لاحد علماء الاقباط في البطاركة والاساقفة وامتيازاتهم وتقدُّم الحبر الروماني عليهم قاطبةً فاخذنا القلم لننسخ ذلك القانون فأبى الرئيس سامحهُ الله . فخرجنا منكسرين خائبين بالرغم عن تلطفنا في الالحاح . غير اننا بعد شهور وسَّطنا حضرة الاب المفضال القسّ بطرس حمَّال في الامر فاستكتبهُ وارسلهُ الينا واليك نصّه :

ممدل محمدل مع مقدا ومحسنا مبتما . دمدل وابس
مع محسنا ايمدهتا ماوسب معحسا . معهلا فهنتحو ماقصحقدا
ددوسمادمدي . . قمدة محسنا مع ماحقا ماوسب مة وفهنتحو
اوحدا ددمدي حدلحدا ابب اوحد قسنا ماوحدا اهمهقحا . .
ممدمدا موسا وحدمدي مة وزمدمدب ددمدا . معلمهدد مة
حدمدي . معهلا وحدا دموسا معحدا معحسا وفهنتحص مزمحقدا
ومحسمقا تحمحب . . . ممة وماوم فهنتحدا وحدحصبوا . . معدد
مة واحدا فهنتحدا . . وممسمهدهسمقحص . . ممة واوحدا
فهنتحدا ومدمعدا ابمهمحدا وممموا . .

(وترجمتهُ) « القانون السادس من قوانين الرسل جمع احد علماء القبط الارثذكسيين (يريد اليعاقبة) في البطاركة والاساقفة وكراسيهم . . أمرَ الرسل القدّيسون والاباء الارثذكسيّون ان يكون البطاركة اربعة طبقاً لعدد الاقطار الاربعة والعناصر الاربعة . . واوَّلهم ورئيسهم بطريرك رومية ولهُ الرئاسة على كلّهم لكونه خليفة بطرس رئيس الرسل في الكرسي الروماني السامي الرفيع . . ثانيهم بطريرك الاسكندريَّة . . ومعهُ بطريرك القسطنطينيَّة وهو الثالث . . ورابعهم بطريرك انطاكية سورياً »

---

١) لعلَّهُ شربل الرهاوي الشهيد سنة ١٠٥ راجع سير القدّيسين (يجان ١ : ٩٥)

ثم اننا زرنا في مذبات دير مار ابرهيم معلّم يرصوما ولهُ عيد يحتفل بهِ اليعاقبة في ١٨ نيسان (١ ويسمّى اليوم دير ابرهيم الكشكريّ وهابيل . وبناؤه قديم يظهر انهُ من آثار الرومانيين وقد رُمّم حديثاً . وفي بيعة الدير مقبرة وثلاث غرف صغيرة وعلى بابها كتابة سطر نجيليّة اليك نصّها :

ܐܢܐ ܐܠܝܐ ܐܠܦܢ ... ܐܢܐ ܐܒܢܝܢ ܡܢ ܐܒ..
ܐܒܢ ܡܢ ܐܫܬ ܐܒܢ ܐܒܢ ܐܒ [٥]

« ايليا الملفان الحقير ابن .. انا الشمّاس صلّوا على .. سنة ٩٧٦ (٦٦٥ م) . وقد جدّد الدير سنة الف وسبعمائة [واربع] (ويجوز ان تُقرأ) الف [واربع] وسبعين يونانيّة (اي سنة (٧٦٣ م او ١٣٩٣ م) »

وفي الكنيسة مذبح للعذراء مريم ومصلّيان منفردان احدهما لمار ابرهيم والآخر لمار هابيل . وعندهم حلّة كهنوتيّة قديمة تكاد تبلى يُظنّ انّها من الملبار من عمل الهنود يتشحون بها مرّة في العام . وقد زانتها صور لطيفة تمثل هيئة خراف ونعاج وجمال وضروب الحيوانات يُظنّ ان احداها تمثل رَفْقة راكبة احد الجمال مزفوفة الى اسحق ولعازرُ ماشٍ امامها

وفي الدير كتاب ضخم يستحقّ الاعتبار وهو بيتكاز يتضمّن الصلوات والطقسيّات على مدار السنة وفصول الاناجيل حسب النصّ الحرقليّ من خميس الآلام الى القيامة . تكرّم بهِ علينا احد الرهبان الاربعة القاطنين في الدير فطالعناهُ بلذّة شاكرين للراهب لطفهُ . وألفينا فيهِ فوائد شتى منها انّ كاتبهُ يورد الاختلاف الطقسيّ الذي كان في عهده في الرها وماردين . وقال في رتبة غسل الاقدام مساء خميس الفصح ان احد البطاركة ادخل العادة بان يمسح القدم بالزّيت بعد الغسل . وهي عادة جارية حتى يومنا في بيعتنا الكاتدرائيّة بماردين خلافاً لسائر الابرشيّات . وفي هذا الكتاب ايضاً حسّايات شتى على مدار السنة ونوافير وكلندار السنة . ورسامة الرهبان والراهبات وطقوس العماد والاكليل الخ

وجاء في آخر النوافير ما تعريبهُ :

---

١) كلندار الاب بتروس (ص ١٨٠)

« نُسخ البيتكاز على نسخة الربّان صليبا من دخيرون (١ وقد قال رحمهُ الله في نسختهِ انهُ نقلها عن نسخة ميخائيل الكبير البطريرك († ١٢٠٠) »

ورجّح ان صليبا هذا هو الربّان صليبا الحاجي ١٣٣١ الذي نشر كلنداره الاب بترس اليسوعيّ البولندي سنة ١٩٠٨ في بروكسل

وورد فيهِ بعد قرآآت اسبوع الآلام ما تعريبهُ :

« انتهت قرآآت آلام الرب الخلاصي .. جمعها باعتناء جزيل الربّان دانيال العلّامة الباتني [نسبة الى بيت باتين قريةٍ في حرّان بالرها] واسحق تلميذهُ النشيط »

وورد في آخر البيتكاز بخطّ مختلف عن خطّ البيتكاز مامعناهُ :

« انا ديوسترس شمون العينوردي .طران الجزيرة وهبتُ هذا كتاب البيتكاز ليوحنا ابن شوشان العينوردي . كتبتُ هذا بخط يدي سنة ١٤٨٤ لليونان (١٧٩٥ م) في ١٧ تشرين الاوّل »

ثم جاء ما نصُّهُ بخط الكاتب نفسهِ :

اسدمو حمصه ازحدا حاد وحوزا حصه هك ممحدلا ممحمو ملمه وحمتا حابت ممحمو وسنا

« انتهى الكتاب في رابع آب الجاري سنة ١٧٧٩ لليونان (١٤٦٨م) كتبهُ الراهب شمون »

فمن ذلك كلّه يتضح ان بيتكاز دير الشرفة المعروف ببيتكاز الشيخ المنسوخ في القرن الثاني عشر اقدمُ من هذا لكن هذا اغنى واحفل بالفوائد منهُ

٥ سفرنا من مذبات الى باتيه

ويوم الخميس ١٤ ايلول قصدنا قرية باتيه فصبّحنا في قرية حيساس وألفينا فيها كنيسة قديمة تُنسب الى شمعون الزيتيّ المعروف بابي قرّة . وقد ورد ذكرهُ في تاريخ الزهاويّ الذي نشرهُ غبطة بطريركنا (ف ٢١١ ص ٢٣٧) وما جرى لهُ من المجادلة الدينيّة مع الخليفة المأمون (٨١٣–٨٣٣) في حرّان اذ كان مطرانها وسمّي تاودرس استقف حرّان أبا قرّه . وورد ذكره في كلنداره الاب بترس اليسوعي في ٣ حزيران وفي ٣ كانون الثاني ممحمو وامدا امصمصدا وسنو (٢ . وقد عثرنا في

---

١) في الاصل ووصفه ولعلها اسم علم او تكون تصحيفاً

٢) في هذا القول نظر . وعندنا انهُ لا بدَّ من التمييز بين رجلين تلقّبا بابي قرّة ولعل

ماردين على نسخةٍ من مجادلته اليك عنوانها: « مجادلة ابي قرّة اسمهُ مار شمعون من حبسناس اسقف حرّان مع المأمون بن هرون الرشيد ». وجاء في اخرها: « كملت مجادلة مار شمعون مطران حرّان ونصيبين والخابور من قرية حبسناس »

امّا الكنيسة فهي على طرز كنائس طور عبدين الراقية الى القرن السابع وما بعدهُ ولها بابان احدهما شمالي اذا دخلهُ الداخل امتدّ الى يمينهِ وشمالهِ رواق يتضمّن سوق الكنيسة الاوّل حيث كان يقف الموعوظون في قرون الكنيسة الاولى. وعلى يمين الداخل بابٌ آخر يتّصل بمصلّى مـار ثاودوطا . وفي السوق الثاني بابان كبيران يفضيان الى سوق البيعة الثالث حيث قدسُ الاقداس يعلوه رواق شاهق في حجارتهِ نقوش بديعة تستلفت الانظار . وعلى وسعها وفساحتها تراها عاليةً الّا انّها خالية من الزينة البيعيّة بالكليّة . وممّا استقبحناه فيها صورتان منقوش فيهما تمثال صبيّ على شاكلة علب الحلويات وهما موضوعتـان على جداري البيعة . وخارج البيعة رواق خصّ للصلاة الفرضيّة في فصل الصيف . على ان من عوائد الطوائف الشرقيّة اقامة الصلوات خارج البيعة من العنصرة الى تشرين وقلّما تخلو كنيسة من كنائس طور عبدين من مصلّى كهذا.

وقرأنا في انجيل الكنيسة التالي بالسريانيّة ما تعريبهُ :

« نُسخ الانجيل لكنيسة مار شمعون الربيّ بقرية حبسناس جمعهُ الشيخ جلّو بن ميرزا . يد قس مذياني من آل غريغو . في عهد الآباء . متى بطريرك انطاكية . والبطريرك آحا والبطريرك اشيا . والبطريرك يوسف . بشاركة طور عبدين في ٢٦ تشرين الثاني سنة ٢١٢٥ يونانيّة (١٨١٤ م) »

وفي حبسناس دير للعازر الحرّاني يعيّد له البعاقبة في ٤ أيار (صحيح الحساب ومحصصندص) كما ورد في كالندار الاب بترس اليسوعيّ . فتمهّدنا وألفينا على بابه حجرًا مكتوباً بالسطرنجيليّة تعريبها: « بُنيت هذه القلّاية باعتناء الربّان يوسف » ليس فيها تاريخ . وفي فناء الدير صومعة مشيّدة بحجار ضخمة على احدهـا مكتوب بالسطرنجيليّة كتابة حديثة لم يتيسّر لنا قراءتها

كليهما كان ايضاً اسقفاً على حرّان الواحد بعقوبي هو شمعون الربيّ المذكور هنا صاحب المجادلة التي جرت امام المأمون والآخر ملكي وهو تـاوذورس ابو قرّه صاحب التآليف اللاهوتيّة الشهيرة التي نشرها حضرة الاب ق . الباشا ونشرنا غيرها في المشرق ل . ش

امّا كنيسة الدير فهي صغيرة واطئة والظاهر انها ليست قديمة العهد وعثرنا فيها على كتاب حسّايات تاريخهُ في اخره يقول كاتبهُ في السريانيّة انهُ انتهى من نسخهِ « في دير مار لعازر ومار لسيا ومار فولا المصري تجاه جبسناس سنة ٢١٨٣ (١٨٧٢م) »

وشاهدنا ايضاً كتاب نوافير من جملتها نافور ديوسقوروس . واغناطيوس . وبطرس بطريرك انطاكية . وفي هامش النافور عن بطرس هذا قولهُ : « بطرس البطريرك الذي كان ينير قناديل بيعتهِ من نور اصابعه . واشتهر سنة ٩٠٢ (٥٩١ م) » وهو بطرس الثالث القلشيّ (الرقي) بطريرك اليعاقبة (٥٧١—٥٨١ م)

وفيهِ ايضاً نافور ماروثا التكريتيّ مفريان اليعاقبة († ٦٤٩) جاء في هامشه انهُ « ارتسم مفريانا للمشرق سنة ٥٢٩ [sic] (٨٤٠ م) وهو الذي صنّف ورتّب صوم نينوى في المشرق وفي كل مكان (١ »

وفيهِ ايضاً نافور للبطريرك ابن وهيب (†١٣٣٣) الفهُ في دير الزعفران . وفيهِ نافور آخر لساويرا اسقف سميساط رئيس دير افتونيا بقنّسرين . . جاء في ختامهِ ما معرّبهُ :

(استخرجهُ من اليونانيّة الى السريانيّة ابراهيم الآمدي سنة ٩٠٩ (٥٩٨ م) وتوفي ساويرا سنة ٩٣٦ (٦٢٥ م) وهو اثناسيوس [الجبّال ٥٩٥—٦٣١] الذي رسم مار جبرائيل اسقفاً »

يريد بهِ جبرائيل رئيس دير قرتمين وسيأتي ذكرهُ في كلامنا عن دير العمر . وفي جبسناس نحو خمس عشرة عائلة من المسلمين والباقي هم يعاقبة

وشمالي جبسناس قرية (بشرش) فيها بيعة آثارها باقية منسوبة ليوحنا المعمدان وليس فيها بيوت للسكنى

وغادرنا بشرش الى (صلّح) فمررنا بعمود شاهق تسنّمهِ العامّة « قامه » وهي صومعة ناودوطا وليس فيها كتابة . وغدرة النهار بلغنا دير مار يعقوب الحبيس

١) ورد في كتاب النفّة لبشوع دناح (عدد ٩٣ ص ٤٩٣ من طبع الاب يوحنان) ان سبر يشوع مطران باجرماي لمّا حصل طاعون في ابرشيّتهِ سنة ٥٦٧ م اقام الباعوث فزال الطاعون . وجاء في هذه المجلّة [المشرق ٩ : ١٧١] ما يؤيد ذلك . ولعلّ ماروثا مفريان تكريت اتّخذ تلك العادة من النساطرة مجاورتهِ . ومن ثمّ فليس هو الواضع الاوّل لهذا الصوم لان سبر يشوع كان قبلهُ بنيّف وستين سنة . راجع المشرق في المحل المرقوم تقف على فوائد شتى تنوط بصوم نينوى

وهي من اقدم قرى الجبل واعمها واعظمها في صلاح والعامة يسكنونها صالح بالاف. اما الدير ففي خارج القرية وكنيسته من ابدع الكنائس وافخمها واعلاها واقدمها والنقوش الثائثة تحيط جدرانها الخارجة . ولها مصلّى صيفي كالعادة فيه ثلاثة اعمدة الاثنان للصلاة الفرضيّة والثالث للانجيل الكريم . وتعلو باب الكنيسة الخارجي هيئة شمس ذهبت بها الامطار على كرور الزمان . وفي ناحيتها الجنوبيّة ثلاثة ابواب مسدودة بالحجارة الضخمة . اما داخل الكنيسة فعلى طرز كنائس طور عبدين القديمة وعلى رحبها هي عالية وفي الجدارين اللذين على يمين الداخل وشماله سبعة حجار قبور مرقومة بالسطرنجيليّة اقدمها «[illegible]» اعني « حنانيا اسقف سروج سنة ١٠٠٠ يونانيّة (٦٨٩ م) »

وحجر آخر « [illegible] » انتقل من هذا العالم سنة ١٠٦٥ (٧٥٤ م)

وغيره مكتوب « [illegible] » سنة ١٢٠٦ (٨٩٥ م)

وغيره مكتوب « [illegible] » سنة ١٢٢٣ (٩١٢م) وفي هذا الدير مدفون ايضاً البطريرك اغناطيوس سابا اوّل بطاركة طور عبدين (١٣١٤—١٣٨٩) والمشتهر في صلح دانيال الصلحي مفسّر الزبور وابن سيراخ وسرّ المبرون في القرن السابع (١ ذلك كلّهُ يشير الى قدم الدير . والكنيسة معقودة كباقي الكنائس بالآجرّ الاحمر وباب المذبح قديم فسيح تعلوه النقوش الظريفة . وفي الخورس عمودان حجريان لكتابي صلاة الفرض البيعي . وفي الكنيسة نسخة من الانجيل الطاهر حسب النصّ الحرقلي بديع الكتابة يتضمّن صوراً شتى من جملتها صورة صعود ربّنا الى السماء في جبل الزيتون فترى الرسل وبطرس مقدامهم واقفاً وسطهم مشّحاً بحلّة الكهنوت الى غير ذلك من الصور الظريفة اللّطيفة

وتجاه الكنيسة غرفة مربعة باسم برشابا يسكنهُ بيت القديسين حيث قبور الاقليروس وامام باب الدير ضريح اغناطيوس مرقس بن قيقي الموصلي الذي رسمهُ مفريانا سنة ٩٩١ اثناسيوسُ الصلحي البطريرك ٩٨٧—١٠٠٣م) ويحيط الدير غرف شتى كان يثويها النسّاك والرهبان تنيف على مائة قلّاية

١) راجع كتابنا الزهرة الذكية (ص ٢٨)

وقد عثرنا على انجيل في كنيستنا بديار بكر اليك تاريخهُ معرَّباً عن السريانيَّة :
« انتهى كتاب العهد الجديد سنة ١٧٨٦ (١٤٧٥م) في ٢٨ أيار بدير مار يعقوب الحبيس المصريّ ومار برشابا وتلاميذه الكائن في ناحية صَلَح عاصمة طور عبدين. في مقاطعة حصن كيفا. في عهد البطريركين. . اغناطيوس خلف [١٤٥٥–١٤٨٢] واغناطيوس عزيز [بن العجوز ١٤٦٦–١٤٨٨] ومار باسيليوس المفريان عزيز . . صلّوا على اختي الراهبة ساره وعلى الراهبة مريم العجوز المباركة »

ذلك دليل قاطع على عظم شأن صَلَح ومنزلتها اذ يسميها الكاتب عاصمة طور عبدين . أما مار يعقوب الحبيس مؤسس الدير فهو يعقوب المصري ولهُ عيد في ١٨ ايلول . ومن اخباره انهُ نال اكليل الشهادة مع احد عشر من تلاميذه في عهد ورهران او بهرام ملك الفرس ٤٢٠ — ٤٤٠ م قتلهم شامير قائده (١ . أما برشابا فديرهُ داخل قرية صَلَح وهو دير فخيم كبير وقد ضبطهُ الاسلام . واليوم يسكنهُ شيخ صَلَح المسلم وقد شاد فيه غرفاً جديدة . وفي صَلَح ثمانون بيتاً من المسلمين وثلاثون من اليعاقبة في يومنا

ثم انتهينا الى قرية (باته) وحللنا في كنيستنا الكاثوليكيَّة فنهض الينا مرحّباً بنا حضرة القسّ ابرهيم كَرّوم الافرامي . وطابت نفسنا بما رأيناه في البيعة من الزينة والنظافة وهي على صغرها حافلة بالاثاث البيعيَّة والصور الكريمة وامامها فناء فسيح وغرفتان ومحلٌ للاستقبال . واوّل من فتح الرسالة الكاثوليكيَّة في باته كان القس بطرس صليو الافرامي الذي قصدها سنة ١٨٨٤ وثوى بيتاً حقيراً كان يقيم فيهِ الذبيحة الالهيَّة حتى تموز سنة ١٨٨٩ فباشر بناء هذه البيعة على اسم سيّدة النجاة بهمّة ومساعي البطريرك يوحنا شلحت († ١٨٩١) والمطران اغناطيوس نوري والاب يوسف گالاند الدومنكيّ . وفي ٢٢ تشرين الاوّل ١٨٨٩ اقام فيها القدّاس الاوّل . وقد اتت اتعاب هذا الاب النشيط بالثمار الشهيَّة فاعتنق الايمان الكاثوليكي زهاء عشرين عائلة في باته وغدوا قدوةً صالحة لمن يجاورهم بالتقوى والمثال الحسن

وبعد ان تناولنا طعام الغداء تفقَّدنا بيعة اليعاقبة وهي على اسم ابينا مار افرام السريانيّ . وآثارها قديمة الّا ان بناءها حديث وفيها كتاب حسّايات نُسخ سنة

١) كلندار الاب بتوس (ص ١١٥)

١٨٢٦ في عهد البطريرك برجس اليعقوبي المعروف بالبيار (١٨١٨—١٨٣١) وكان في عهده البطريرك يوحنا الذي قضى في حياب سنة ٨٢٢

وطالعنا في الكنيسة بيتكازاً كبيراً معتبراً نُسخ سنة ١١٨٦ م في ٢ ايار في دير مار قرياقس بجزّه عند كفرزه وجاء في آخره تاريخ منظوم في صفحتين اليك فحواه بتصرّف قليل :

« انتهى نسخ هذا البيتكاز سنة ١٧٩٧ (١٤٨٦م) في ٢ ايار في عهد اغناطيوس عزيز بن سبنا بطريرك طور عبدين. ويوحنا مطران دير قرقين . وقرلس يوحنا مطران مذيات. وديونوسيوس يعقوب المذياتي مطران حاح وباسيليوس مطران الزرجل وارزن وسعرد: ابي وعرّابي. انا القس توما المذياتي مع الاخوة والرهبان والبيّاد الذين يستغرقون المائة . وهم من طور عبدين . وسبعة رهبان من دير المتينية [وهو دير من قضاء ديركه غربي ماردين] وتسعة رهبان ارزنيين. هذه اسماء الرهبان الحاجّين [نسبة الى حاح او هَنّه] والصوفنيين [نسبة الى قرية صوفان ؟]

ثم ذكر الناسخ انه نقلهُ « من نسخ مدقّقة للربّان بهنام ابن القسّ سابا المرحوم المذياتي . وداود الفونيقي أمن بلاد حمص وحماة] » . ولهذا داود ميامر سريانيّة على حروف الهجاء لدينا نسخة منها . جاء في آخرها انهُ الفها سنة ١٧٧٤ لليونان (١٤٦٣ م)

وسرنا بعد الظهر الى قرية (عَرْناس) جنوبي باته وعلى ربوتها كنيسة كبيرة تُنسب الى والدة الله ومار بُسّوس الشهيد وقرياقس ويوليطي امّه الشهيدين وهي تضارع كنيسة حبسناس التي وصفناها سابقاً يعلوها الآجرّ الاحمر وفي فنائها حجر منقّش مما يدل على جهل البنّاء . كُتب فيه بالسريانيّة « شُيّدت كنيسة مار قرياقس اكراماً للثالوث الاقدس » وفيها رواقان للصلاة في الصيف كالعادة . وفيها كتاب صلوات هذا تاريخهُ معرّباً :

« انتهى كتاب الفنقيث الثنويّ في ١٩ حزيران سنة ٢٠١٦ (١٧٠٥م) في عهد دنحا المرنايّ ابن حوشاب بطريرك طور عبدين. نُسخ لسيمة والدة الله ومار بسّوس ومار قرياقس التي في قريتهم في عهد اغناطيوس برجس الوصلي بطريرك ماردين ١٦٨٦ (١٧٠٨ م)

وفيها فنقيث آخر على رقّ بالحروف السطرنجيليّة يتضمّن صلوات السنة كأنما يرتقي تاريخهُ الى القرن الثالث عشر هذا تعريب آخرهُ :

« انتهى نسخ هذا الجزء من التنقيح الثنويّ سنة ١٥٦٦ (١٢٥٥ م) في ٢٨ تشرين الاوّل بدير والدة الله ومار يعقوب ومار ديمط المعروف بدير القرن موقعه في جبل الاثل. كتبه يعقوب ابن القس يوحنا مولده في زبدينا قرية في القلمة الحديثة بنصيبين في عهد رؤساء البيعة الذين تحفّزوا للخصام والمشاحنة. مار يوحنا البطريرك [السابع عشر المعروف بابن المعدني ١٢٥٣–١٢٦٣] ومار ثاودوسيوس البطريرك ومار اثناسيوس (١ وباسيليوس مطران دير قرقين. . اهتمّ الآباء وجعلوا هذه الذخيرة الروحية في كنيسهم المبنيَّة على اسم الشهيد الجليل بسّوس. . وفي هذا الدير سبعة عشر راهباً. اجتهد بصنع ورقه الرقّ رهبان دير قرقين »

وتفقّدنا في جنوبي غربي عرناس ديرًا متهدّماً يُعرف باسم دير مار ديمط (ومحلّه) الجديد وليس فيه احد بتّة . وفي عرناس زهاء ثمانين عائلة يعقوبيَّة وعشرين اسلامية . امّا في باته فعشرون عائلة سريانيـة كاثوليكية وعشر اسلامية ونيّفاً ومائة عائلة يعقوبيَّة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالّة على رؤسائهم ورهبانهم (تابع)

وهذه الفاظ أخرى نردفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرته (ص ٢٠)

١) لا ندري من هو ثاودوسيوس واثناسيوس ولعلّ احدهما هو ديونوسيوس [السابع المعروف بنجور ١٢٥٢–١٢٦١] الذي ارتسم ابن المعدني بطريركاً بعده بسنة وثلاثة اشهر تقريباً . فاضحى من ثمّ بطريركان للياقبة كلٌّ يسعى في تأييد البطريركية لهُ . وكلاهما كانا في عهد ابن العبريّ . امّا البطريرك الثالث الذي ذكرهُ مؤرخ كتاب التنقيح باسم اثناسيوس فلا ندري من هو وقد اهمل ابن العبري ذكرهُ . ولعلّهُ كان مروقاً بصفة بطريرك في طور عبدين فقط

عن اوّل داعٍ للنصرانيّة في نجران. وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لمّا ساح في الارض بعد تنصّره وزهده. والاسم السياحة قال في التاج (٢: ١٦٨): « السياحة والسُّيُوح والسَّيَحان والسَّيْح الذهاب في الارض للعبادة والتَّعبُّد (قال): ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليهِ السلام فيبعض الاقاويل لانهُ كان يذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلّى حتى الصباح » وقد مرَّ بك ان هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها (الناسك) وهو المتعبّد المتقرّب الى الله بالصوم والصلاة واعمال البرّ اطلقها العرب على الراهب. والاسم النُّسك بتثليث اوّلها

وكان الرهبان يحلقون وسط رأسهم وهي (القُوقة) والرجل مقوّق. جاء في كتاب الاضداد (ص ١٣٢. وفي اللسان ١٢: ٢٠٠):

أبا القسّ الذي قد حلق القوقة حلقه
لو رأيتَ الدفَّ منها لنسقتَ الدفَّ نسقه

ومنها (الحازي والعرّاف والكاهن) وهي الفاظ التبست عليهم فتردّدوا في معانيها. ولا شكّ انها أُطلقت ايضاً على نصارى الجاهلية. فالحازي عندهم « الكاهن والعائف والعالم بالامور » (راجع التاج في المادّة) واللفظة معرّبة من العبرانيّة (חזה) اي الناظر والنبيّ او مأخوذة من السريانيّة ܚܙܳܐ او ܡܶܚܙܳܐ اي المتفقّد والناظر والحكيم ارادوا بها رئيس الدين لحكمته ولعلّها ترجمة اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بمعنى الناظر اي الاسقف والراعي الديني

وكذلك (العرّاف) ارادوا بها الساحر والنبيّ بالمستقبل عموماً. وقد خصّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقة في شعر مرَّ ذكرهُ (ص ٥٩٨):

فريقان رهبان بأسفل ذي الغرى وبالشام عرّافون فيهن تنصّرا

ومثلها (الكاهن) فانّها وردت بمعنى مدّعي معرفة الاسرار والتخاطي اخبار الكائنات في الماضي والمستقبل. والاسم الكَهانة. لكن للكاهن معنى آخر لم يجهلهُ العرب في الجاهليّة زيد بهِ معنى خادم الدين ومقرّب الاقداس للاله وهو معناها في العبرانيّة (כהן) وفي الآرامية ܟܳܗܢܳܐ فلا بُدَّ من القول انَّ العرب استعاروهُ منهما للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانية في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل انحاء العربيّة. والدين المسيحي لا يقوم الّا بالنظام الكنسيّ اي بوجود اساقفة وكهنة ومنهُ يتّضح انّهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السّحرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضاً بمعناها الخاصّ اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدّسة وان لم يتصّوا عليهِ. وقريب منهُ قول صاحب لسان العرب (١٧: ٢٤٥): « العرب تسمّي كلّ من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمّي المنجم والطبيب كاهناً » فطبيب الارواح احقّ بهِ من سواه. وفي تاريخ عرب الجاهلية اخبار بعض الكهّان الذين دعوا الى الله وردّوا عن المنكر وارشدوا الى الخير ما يدلّ على انّهم كانوا ارفع مقاماً من السّحرة

٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصّة بكنائسهم واقداسها

سبق لنا عدّة الفاظ مشتركة استعملها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم الى استعمالها كالمسجد والكعبة والمحراب والمنارة والمئذنة. ولهم الفاظ أخرى خاصّة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الاسلام كما سترى

منها (الكنيسة) وهي لفظة ساميّة بمعناها المجمع عبرانيّتها כנסתא وسريانيّتها ܟܢܫܬܐ فانت بمعنى محلّ صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود. ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديماً لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى (الكامل للمبرّد ص ٤٨٥ ed. Wright):

ما في مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ رجسا كنائسُ خنثمٍ ودِنان

(قالوا) الخنثم الخرّف الاخضر

واشيع منها لفظة (البيعة) وهي سريانيّة ܒܥܬܐ ومعناها البيضة والقبّة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً. وذكرها مكرّر في الشعر الجاهليّ. قال ورقة ابن نوفل (الاغاني ٣: ١٦):

اقولُ اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمكَ داعيا

ومثلهُ للزبرقان بن بدر التميميّ لمّا وفد على نبيّ المسلمين (سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

و تدم منها قول لقيط بن مَعْبد في عينيّته التي وجّهها الى قومه ليحذّرهم من كسرى ذي الاوتاد (مختارات شعراء العرب لهبة الله العلوي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) :

نامَتْ فؤادي بذاتِ الخالِ خَرْعَبَةٌ مرّت تُريد بذاتِ العَذْبَةِ البيَعا

(قال) : ذات الخال وذات العذبة مكانان . ويروى : بذات الجذع . وروى في التاج « نامت .. خزعتهُ » وهو تصحيف . ومثلهُ قدماً قول عبد المسيح بن بقيلة (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) :

كم جرّعتُ بدَيْرِ الجَرْعَةِ غصصاً كبدي بها مُنْصَدِعهْ
من بدورٍ فوق اغصانٍ على كثبٍ زُرْنَ احتساباً بيَعهْ

ومنها (القُلَّيس) قال في المخصّص (١٣ : ١٠٣) : « القُلَّيس بيعةٌ كانت بصنعاء للحبشة هدمَتْها حِميَرُ ». واللفظة دخيلة اصلها من اليونانيّة Ἐκκλησία . وقد وصف قدماء الكتبة هذه الكنيسة باوصاف تدلُّ على حسنها وفخامة بنائها وكان بانيها الملك ابرهة (راجع ما نقلناهُ من اقوالهم في مجاني الادب ج ٣ ع ١٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦)

ومنها (السعيدة) جعلها ابن سيدة (١٣ : ١٠٣) وياقوت (٤ : ٧٥٦) في جملة مناسك النصارى وقالا عنها انّها « بيتٌ كانت تحجُّهُ ربيعة في الجاهليّة » وقد مرّ بك ذكر تنصُّر ربيعة

واجلُّ ما في البيعة (هَيكَلُها) وهو صدرها حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانيّة היכל وآراميّة ܗܝܟܠ وهي فيهما بناء العبادة الكبير . والهيكل في العربيّة البناء العظيم واستُعمل لكلّ كبير الجسم . قال التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٩) : « الهيكل اصلهُ في البناء » . وقال في الاغاني : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر . ومنهُ (؟) سُمّي بيت النصاري الهيكل ». وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهليّ . قال عنترة (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

تَمْشي النعامُ بهِ خَلاءً حولَهُ مَشْيَ النصارى حولَ بيت الهيكلِ

قال في المخصّص (١٣ : ١٠٤) : « الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم عليها السلام ... وربّما سُمّي بهِ ديرهم » وفي لسان العرب (١٤ : ٢٢٥) :

« الهيكل بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى » . وقال الاعشى (الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) يذكر الهيكل :

ومنا · ايليٌّ على هيكل بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا .

ومثلهُ قول الآخر وقد مرَّ :

وما قدَّس الرهبانُ في كلّ هيكلٍ ايلُ الايلين المسيح بن مريما

وفي الهيكل (المذبح) وهو محلّ التقديس والقربان . واصلهُ محلّ الذبح وتقدمة الذبيحة فاستعملوهُ مجازًا قال في التاج (٢ : ١٣٨) : « ومن المجاز المذابح للمحاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كُتب النصارى . سُمّيت بالمذابح للقرابين» . وقال في اساس البلاغة (١ : ١٩٢) : « مررتُ بمذابح النصارى وهي محاريبهم وموضع كتبهم ونحوها المناسك المعتقدات »

قال الحسين بن الضحّاك (راجع معجم البكري ص ٣٦٩) :

عجَّت اساقفُها في بيت مذبحها وعجَّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس (محاريبُها) وقد مرَّت . واخصّ ما كانوا يزينون بهِ هياكلهم (الصَّليب) تنويهاً بموت السيّد المسيح مصلوباً . وقد تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهلي وجمعوهُ على صُلُب وصُلبان وصرَّحوا بعبادة النصارى للصليب وباتخاذهم لهُ كتبلة وكرأية . وقد أقسم بهِ عديّ بن زيد فقال (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سمى الاعداء لا يألونَ شرًّا عليكَ وربِّ مكَّة والصليبِ

راجع ايضاً ما قيل في القسم الاوَّل عن اكرام النصارى لمكَّة في الجاهليَّة (ص ١١٨) . وممَّن ذكروا الصليب النابغة الذبيانيّ (تاج العروس ١ : ٣٣٧) قال :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ موبَّلةٍ لدى صَليبٍ على الورداء منصوبُ

قال الصغّاني (Lane s.v) : «سمّي النابغة اللَّهَمَ صليباً لأنَّهُ كان على صليب لانهُ كان نصرانيًّا » وقال شارح ديوان النابغة (شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥) : « اراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانيًّا » . وقد ذكر الاخطل خروج النصارى لحروبهم والصليب يتقدَّمهم (ديوانهُ ص ٣٠٩) :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا خلَّوا لنا راذانَ والمزارعا

ومن شعر عبادة العرب للصليب حجّار بن أبجر قال يهجو بني سجل النصارى (الاغاني ١٣ : ١٧) :

تُهدّدني سجلٌ وما خلتُ أنني خلاةٌ لسجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

اي تعبد الصليب. وروى في التاج (١٠ : ٩٠) للأقيشر :

في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلههم حاشاي اني مُسلمٌ معذورُ

وكانوا يسمون جباههم بالصليب قال حجّة الدين الصقليّ في كتاب أنباء نجباء الأنباء لخالد بن يزيد في امرأته رَمْلة الزبيريّة (ص ٩٤) :

أُحبُّ بني الدرّام طُرًّا لاجلها ومن أجلها حبّبت أخوالها كَلْبا
فان تُسلبي أسلم وان تنصّري يخطُّ رجالٌ بين اعينهم صُلْبا

وبنوا من الصليب فعلًا فقالوا صلّب اي رسم الصليب كما رأيت في شعر الاعشى:

فما أبليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

وكان نصارى العرب كما غيرهم يزيّنون كنائسهم بنقش الصور ونصب التماثيل فيكرمونها نسبةً الى ما تمثّلهُ لهم من اولياء الله وفضائلهم. ولنا في شعر اهل الجاهليّة عدّة شواهد على ذلك. فذكروا (الصورة) وهي هيئة الشيء وشكلهُ لا سيما هيئة اولياء الله. وقد سبق في باب تاريخ النصرانيّة بين عرب الحجاز (ص ١١٦—١١٧) انّ العرب كانوا وضعوا في الكعبة صورة «الملائكة والانبياء كموسى ومريم وعيسى»: ومنّن ذكروا الصور النصرانيّة الاعشى كما سبق فبنى من الصورة فعلَ «صارَ»:

وصلّب فيهِ وصارا

يريد الراهب الذي نصب الصليب في الهيكل وزانهُ بالصور. وتسمّى الصورة (تمثالًا) قال في التاج (٨ : ١١١) : «التمثال الشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله عزّ وجلّ. (قال) والتماثيل هي صور الانبياء. وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت». وكانت تلك الصور تُتقن بالفن وينقشونها بالالوان ويطلونها بالذهب. قال عبدالله بن عجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢) :

غرًّا مثل الهلالِ صورُها ومثل تمثالِ صورةِ الذهبِ

(قال) ويروى : بيعة الذهب. وروى ياقوت لشاعر قديم (٣ : ٥٢٥) :

حتى اذا كُنَّ دُوَيْنَ الطِرْبالْ يَشَرَ منهُ بصهيلٍ صَلْصَالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثال

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حَلْيٌ يشبُّ بياضَ النحرِ واقدُهُ كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيما في اعيادهم . قال الحارث بن خالد المخزومي (الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبِيَعةُ خَوْد مثل تمثالِ بيعةٍ تظلُّ النصارى حولَهُ يومَ عيدها

ومثل الصورة والتمثال (الدُّمية) جمعُها الدُّمى واصلها من السريانية ܕܡܘܬܐ ومعناها الشبه . قال في التاج (١٠ : ١٣١) : « الدُّمية الصورة المنقَّشة من الرخام (عن الليث) . وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامّ من كلّ شيء مستحسن في البياض او الصورة عامّة (وهو قول كراع) . قال ابن الاثير : هي الصورة المصوَّرة لانّها يُتنوَّق في صنعها ويُبالَغ في تحسينها . . . والدمية ايضاً الصَّنم . . . لتزيينها وتنقيشها كالدُّمى المصوَّرة » . ولذلك ضربوا المثل في حسنها فقالوا : « احسن من دُمية (امثال الميداني ١ : ٣٠٠) وقد شبَّهوا بها نساءهم قال الاعشى (التاج ٦ : ٣٤٤) :

وحُورٍ كأمثال الدُّمى ومناصفُ

وكان سبقهم داود النبيّ الى هذا التشبيه فوصف في المزامير (مز ١٤٤ : ١٢) : بنات المنافقين « المزيّنات كدُمى الهياكل » . ومعظم الشعراء القدماء الذين ذكروا الدُّمى خَصُّوا بها بيَع النصارى ومحاريبهم دلالةً الى عادتهم المألوفة بتزيين كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالاصنام قال عديّ بن زيد (في الكامل للمبرّد ed. Wright, 460) :

كدُمى العاج في المحاريب او كالبَيْض في الروض زهرهُ مستنيرُ

ومثلهُ للاخرص في الاسلام (الاغاني ٤ : ١٤٤) :

كأنَّ لُبْنى صَبيرُ غادية او دميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

وقال عُمر بن ابي ربيعة (الكامل ص ٣٧٠) :

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال اميّة بن ابي عائذ (ديوان الهذليين ص ١٧٧) :

او دميةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفٍ الإفرنسِ

وتبعهُ ابو العتاهية فقال (الاغاني ٣ : ١٥١) :

كأنَّ بعنّابةَ من حسنها دُمْيةُ قسٍّ فتنت قسّها

وممَّن وصفوا الدُّمى امرؤ القيس حيث قال (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٢٨) :

كأنَّ دُمًى سُقْفٍ على ظَهرِ مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشيًا مصوَّرا

ومثلهُ النابغة الذبيانيّ (العقد الفريد ص ١٠) :

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجرٍ تُشادُ وقَرْمَدِ

وكذلك قال عبيد بن الابرص (الاغاني ١٩ : ٨٦) :

واوانسٌ مثل الدُّمى حورُ العيونِ قد اسْتَنَا

وقال سُلمى بن ربيعة (الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag) :

والبيض يرفُلْنَ كالدُّمى في الرَّبْط والمُذهبِ المَصُونِ

وقال زياد بن حَمَل (الحماسة ٦١٤) :

فيها عقائل امثالُ الدُّمى خُرُدٌ لم يَغْذُهنَّ شقا عيشٍ ولا يَتَمُ

ويظهر من شعرهم انَّ هذه الدُّمى كانت تُصطنع في بعض انحاء العرب كهَكِر قيل انهُ موضع في اليمن قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٢٤ في العقد الثمين) :

كناعتَين من ظباء تبالةٍ على جؤذرَين او كبعض دُمَى هَكِرِ

وكذلك ميسان وقيل انها مَيْسان بين الواسط وبصرة قال سُحَيم :

وما دميةٌ من دُمَى مَيْسَنا نٍ معجبةٌ نظرًا واتصافا

ولعلَّهم اطلقوا ايضاً على الصورة اسم (النُّصب) وهو في الاصل كل ما كان يُنصَب فيُعبَد من دون الله تعالى والجمع أنصاب ويقال نُصُب بضمَّتين والجمع نُصَائب. وقد خصُّوها بعبادة الاوثان فارادوا بها حجارةً كانت حول الكعبة كانوا يصبُّون عليها دماء الذبائح . ولعلَّ النصارى ارادوا بها معنى الصورة عموماً دون الوثن لورود اللفظة في شعر البعض منهم

وقد امتازت كنائس النصارى (بالناقوس) وكان قديماً خشبةً طويلة يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها (الوَبيل) او (الأَبيل) يقال نَقَس بالوبيل الناقوس نَقْساً اذا ضربهُ ثمَّ جعلوا بدلاً من الخشبة لوحاً من نحاس كانوا يقرعون عليهِ . وهو اليوم

(الجَرَس) على صورة نصف المخروط وهو عربيّ ايضاً ذكرهُ في التاج قال (٤ : ١١٨): « والجرس الجلجل ... والذي يُضرَب به ». وتكرَّر في الشعر الجاهليّ ذكر النواقيس. قال المتلمِّس يذكر خروجهُ الى بلاد غسّان حيث كثرت الكنائس والنواقيس (راجع طبعتنا لديوانهِ) :

حنَّت قَلُوصي جا والليلُ مُطرِقُ بعد الهدوّ وثاقتها النواقيسُ

قولهُ « بعد الهدوّ » اي عند السَّحَر لانَّ عادة الرهبان ان يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر. ومثلهُ قال المرقّش الاكبر (المفضّليات ص ٤٦٥) :

ونسعُ تَرقّاء من اليوم حولنا كما ضُربت بعد الهدوّ النواقسُ

ومثلهما للأعشى (راجع الجوهري في مادّة حدّ) ويروى لعنترة (العقد الثمين ص ١٧٩) :

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صدقٍ والنواقيسُ تُضرَبُ

وقال الاسود بن يعفر وجمعَ الناقوس على نُقُس (التاج ٤ : ٢٦٣) :

وقد سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصباح ولمّا تُقرَعِ النُّقُسُ

واكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد (ديوانهُ ص ١٣٧) :

فصدَّهم نطقُ الدُّجاجِ عن السُّهَد وضربُ الناقوس فاجتُنبا

قال الشارح : « والناقوس انّما يكون في القرى فلمّا مرُّوا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصداً على الطريق ». ومثلهُ للجعديّ :

ودسكرةٍ صوتُ ابوابها كصوتِ الموانح بالجَرْأبِ
سبقتُ صباحَ فرارجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقسّ. قال وبيعة بن مقروم من ابيات مرَّت ذكر فيها الراهب (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يتترَّلِ

وروى في الاغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسْطَ الدَّيرِ قبل الدُّجاجِ وزقاء الطَّيرِ

ومثلهُ لجرير في القسّ (البكريّ ٢١٥) :

صبحنَ نَرْماء والناقوسُ يقرعهُ قُسُّ النصارى حراجيجاً بنا نجفُ

وقال جرير ايضاً (البكري ٣٦٨) :

لما تذكرتُ بالدِّيرَيْن ارّقني صوتُ الدجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ

وقال الاعشى ودعا ضارب الناقوس بالأبيل وهو ايضاً الجبر كما مرّ (راجع حماسة البحتري ص ٥٦) :

قافيّ وربّ الساجدينَ عشيّةً وما صكّ ناقوسَ الصلاة أبيلُها
أصالحكم حتى تبوّأوا بيتها كصرخة حُبلى بشّرتها قَبُولها

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس: « رأيت أبيلًا على وَبيل » اي حبرًا على عصا رعايته . وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالوبيل

امّا (الجَرَس) فلم نجدهُ في شعر قديم . وانّما ورد ذكرهُ في الحديث قال في أسد الغابة لابن الاثير (١ : ٣٥١) عن لسان محمّد في الوحي : « احياناً يأتيني (اي الوحي) في مثال صلصلة الجَرَس ». وفي حديث آخر رواهُ مسلم (٤ : ٤٥٠) : « الجَرَس مزامير الشيطان (١) »

وكانوا ينيرون كنائسهم بالانوار ويسرجون فيها السُّرج ويضيئونها بالمصابيح قال عمر ابن ابي ربيعة (الاغاني ١٥ : ٧) :

نظرتُ اليها بالمحصَّب من منى ولي نظرةٌ لولا التحرُّجُ عارمُ
فقلتُ اشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدت لكَ خلف السُّجْفِ ام انتَ حالمُ

وكانوا على الاخصّ يقيمون فيها الرتب الدينيّة . مرّ ذكر صلاتهم وسجودهم وتسبيحهم في كنائسهم . وكانوا يقرّبون القرابين في القدّاس ومنهُ قول الاعشى :

وما قدّس الرهبان في كلّ هيكلِ . . .

ومثلهُ قول البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) يصف رتبة قدّاس النصارى « وضجّ الرهبان بالتقديس »

ومن مناسكهم (القُربان) هو في الاصل كلُّ ما يُتقرَّب بهِ الى الله . وقد خُصَّت بقربان النصارى . قال اميّة (كتاب البدء ٢ : ١١٥) :

ايأمن يَلْقى نصارام سيحَهُمُ والكائنينَ لهُ وذْا وقُرْبانا

---

(١) اطلب Goldziher : *Abhandl. z. arab. Philologie*, p. 189

وروى في اللسان لجرير (١٥ : ١٢٥):

او تتركون الى التَّبْنِ هِجْرَتَكم ومَسْحكم صُلْبَهم رَخْمان قربانا

وقد بنوا منهُ فعلًا فقالوا (تقرَّب) اذا اخذ القربان. قال الاعشى يمدح هوذة بن عليّ النصرانيّ الذي اعتق مئة من أسرى تميم يوم الفصح (تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧):

بهم تتقربَ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صَنَعا

ومثلهُ ما اخبر صاحب الاغاني (٢ : ٣٢) عن عديّ بن زيد وهند بنت النعمان كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة " ليتقرَّبا " يريد تناولها القصحيّ وكانوا يدعون القربان (الشَّبَر) ولعلَّ اللفظة سريانيَّة " ܩܘܪܒܢܐ " وهي الطعام والغذاء. ارادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم. قال عديُّ بن زيد يحلف بالقربان (شعراء النصرانيَّة ٤٥٢ ولسان العرب ٦ : ٥٨) :

إذ اتاني نبأٌ من مُنْعِمٍ لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

قال الشارح: « الشبر هو الانجيل والقربان » . وقد وردت الكلمة في شعر العجّاج فافتتح احدى ارجيزه بقوله :

الحمدُ لله الذي أعطى الشَّبَرْ

فشرحوا الشَّبر بالعطيَّة والموهبة. وكأنها تعريب اللفظة اليونانيَّة افخاوستيا (Εὐχαριστία) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان. وورد لابن السكيت في اصلاح المنطق (طبعة مصر ص ١٥٩) في شرح بيت عديّ : « قيل في الشبر ههنا انهُ القربان »

وقد خصُّوا بالذكر (خمر القربان) وروا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها وقد مرَّت في ذلك ابيات ابن بُحَيم (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباء جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تنزلْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ الميثُ ناوها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبرُ

ومثلهُ فيها للاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وان ذُبحتْ صَلَّى عليها وزَمْزما
ببابلَ لم تُقصَر فسالت سُلافة غطاط فنديدًا وسكَّا مختَّما

فبذكرهِ للصلاة عليها خصَّ الخمر المقدَّسة . وقال الاعشى ايضاً :

وصهباء طاف حابُها وابرزَها وعليها ختمْ
وقابلها مستهاماً لها وصلّى على دنّها وارتسمْ
فزرّ غا غيرَ مستكبرٍ على الشرب او مُنكر ما عُلِمْ

النهاميّ صاحب الدير وقد مرّت ورُوي (قطب السرور Ms de Paris ff. 67):
« طاف يهودُيها » ولعلّهُ تصحيف لانّ اليهوديّ لا يصلّي على الخمر ولا يطيف بها.
وكذلك قال علقمة وذكر (الكأس) وخصّ خمرها بصفات اقرب الى الخمر المقدّسة :

كأسُ عزيزٍ من الأعناب عتّقها لبعض أربابها حانيةٌ حومُ
تشفي الصُداع ولا يؤذيكَ طالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدومُ
ظلّت تُرقرقُ في الناجود صفقُها وليدُ أعجَمَ بالكتّانِ مقدومُ

قالوا اراد بالعزيز الملك . وقالوا بل اراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر يذكر فصح النصارى :

عليهِ كمصباحِ العزيزِ بَشُبُّهُ لفصحٍ ويحشوهُ الذُبال المفتّلا

وكما شربوا خمر القربان اكلوا خبزهُ المقدّس . وقد بيّنّا (ص ٧٢ و١٣٩) ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « اكلهم لربّهم » انّما ارادوا بهِ تقرُّبهم من القربان الاقدس فقرّعوهم بما لم يدركوا معناهُ فقالوا :

أكلتْ حنيفةُ ربّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوْ العقوبة والتباعَهْ

ومثلهُ قول الآخر :

أكلتْ ربّها حنيفةُ من جو عٍ قديمٍ ومن إمرّازِ

والنصارى يشيرون الى القربان (بمائدة الربّ) كما دعاها بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ٢١) . واللفظة شاعت عند عرب الجاهليّة اخذوها ايضاً من نصارى الحبش وهي عندهم ⁂ وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (في سورة المائدة ع ١١٢ و ١١٤) حيث يذكر انّ الحواريين طلبوا من المسيح ان يُنزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها . واراد بها العشاء السرّي.

ولا شكّ انهُ كان لهم في كنائسهم (منبَر) للكرازة واعظم شاهد على قولنا

انَّ اللفظة ليست عربيَّة بل مستعارة من نصارى الحبش ⲙⲁⲃⲁⲕ اي مجلس وكرسي الخطابة ثم اخذها المسلمون (١. قال الفرزدق في آل أبي العاصي (ديوانهُ ed. Boucher. p. 19) :

ولن يزالَ امامٌ منهمُ مَلِكٌ اليهِ يشخصُ فوق المِنبرِ البَصَرُ

(لهُ بقيَّة)

القديس اوغستينوس شفيع المذهب الدرويني

نظر فلسفيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

نشر الدكتور امين ابو خاطر الرُّحلاوي في المقتطف (آب ١٩١٣ ص ١٦٢ — ١٦٩) فصلًا عنوانهُ « القديس اوغستينوس وناموس النشوء والتحوُّل » صدَّرهُ بثناء طيِّب على ذاك النابغة الفريد المعدود « من اعظم اقطاب الكنيسة اللاتينيَّة » فسرَّنا هذا الثناء من قلم رجل يتصفَّح كتب ارباب الدين . لكنَّ جنابهُ لم يلبث ان نسب الى نفسهِ اكتشاف اميركة جديدة على نحو كولبوس وبعد أن اكَّد لنا انَّ للقديس « مصنَّفات كثيرة يرجع اليها علماء الدين في التعليم والاستشهاد » ناقض نفسهُ بنفسهِ فقال : « وآراؤهُ الفلسفيَّة التي يقول بها علماء هذه الايَّام دُفنت في خزائن رجال الدين ورجال الدين انفسهم يجهلونها .. ولو رجعوا الى ذلك الحبر النابغة وهو حجَّتهم في التعاليم الدينيَّة لعرفوا خطأهم ورجعوا الى الصواب واجتهدوا اجتهاده في تطبيق العلم على الدين »

فنسألك يا جناب الدكتور كيف تطبِّق بين قولك « انَّ علماء الدين يرجعون الى مصنَّفات القديس اوغستينوس الكثيرة في التعليم والاستشهاد » وقولك انَّ « آراء القديس الفلسفيَّة مدفونة في خزائن رجال الدين الذين يجهلون تلك الآراء » أفيظن الدكتور ابو خاطر ان الكاثوليك يقتنون كلَّ اعمال القديس اوغستينوس ليدفنوها في مكاتبهم ويجعلوها مأكلًا للسوس . فليطمئنَّ بالًا وليعلم جنابهُ

---

١) راجع مقالة للمستشرق بكر (C. H. Becker) عنوانها المِنبر عند قدماء العرب (Orient. Stud. Theod. Noeldeke. 1,331 - 351)

انّ علماء الكنيسة في عهدنا يدرسون مصنّفات القديس ويعلمون حقّ العلم ما تحتويه من الآراء الصحيحة والضعيفة

قلنا الآراء « الصحيحة والضعيفة » لانّ القديس اوغستينوس وضع من التآليف ما لا تكاد السنون تكفي لمطالعته وكتب عن كلّ العلوم الشائعة في زمانه افن العجب انهُ يكون جنح في بعض اقواله الى آراء ضعيفة لم يستصوبها العلماء من بعده والدليل عليه انّ القديس عينه وضع تأليفاً في كتابين واسمين دعاهُ باعادة النظر في تآليفه (Retractationum libri duo) فأصلح ونقّح وصرّح واوضح وبيّن ارتيابهُ في بعض مزاعمه وردّ على غيرها . فكفى بذلك برهاناً على قولنا . فلا يجوز اذن ان يُستَند اليه في كلّ تعاليمه دون ان تُعرَض على محكّ الانتقاد . وآباء الكنيسة انفسهم ليسوا بمعصومين من الغلط الّا عند اتفاقهم في تعليم الحقائق الدينيّة

*

فبعد هذه المقدّمة دعنا ننظر ماذا اكتشف الدكتور امين ابو خاطر في تآليف القديس اغوستينوس منافياً لتعاليم أرباب الدين

قال الدكتور : «انهُ لا يدّعي باكتشاف هذه الكنوز لكنّهُ اطّلع على شذرات منها في مجلّة الدكتور كابانس وهو حجّة في التاريخ ينقّب عن كنوزه المدفونة في خبايا الازمنة وقد طالع تلك المصنّفات على كثرتها واستخرج منها كنوزاً نشرها في مؤلف خاصّ »

نشكرك أيها الدكتور على تعريف أسانيدك . فانّك كما يقول المثل الفرنسويّ « قد اظهرت لنا طرف أذنك » . . أتعرف من هو كابانس الذي اخذت عنهُ ؟ هو أحد زنادقة القرن الثامن عشر من رصفاء فولتير وروسّو ودالمبير اي احد الكفرة الملحدين بل اعظم منهم كفرًا وهو الذي قام يوماً في مجمع العلوم وصرخ قائلاً : « انّ اسم الله لايجوز ان ينطق به احد في مجمع علميّ » كأنّهُ تعالى اسمٌ بلا مسمًّى وقد قال لاروس في معجمه انهُ كان على المذهب المادّي(de l'école sensualiste) وانّهُ كان يعدّ النفس كقوّة مادّيّة فقط . فهذا هو كابانس الذي جعلتهُ « حجّة في التاريخ منقّباً عن الكنوز المدفونة » ولا نعلم لماذا سكتّ عن فضله الوحيد كطبيب

ومؤلف الطبيّات. افتحسب أيها الدكتور النطاسيّ انّ الطبّ والفلسفة علمان متلازمان فهيهات !

وهب انّ كابانس كان « فيلسوفاً منقّباً عن الكنوز المدفونة » فماذا اكتشف في اعمال القديس اغوستينوس ؟

تجيبنا ان منقولات كابانس عن كتب القديس اغوستينوس تدلّ على موافقة تعاليمهِ لمذهب دروين ليس بين اقوالهما الّا فروق طفيفة حتى « صحّ ان يكون القديس اغوستينوس هو واضع مذهب النشو وان يُنسَب اليهِ وليس لسواهُ » (كذا ص ١٦٩)

نعم الاكتشاف وخزياً لك يامستر دروين لانّك اختلست مذهبك ممّن سبقك زمناً وعلماً وفاق عليك كما تفوق الثريّا على الثرى !!

ولكن فلنسمع اقوال دروين ونقابل بين آرائهِ الواهنة وما قالهُ القديس اغوستينوس. يُعرّف مذهب دروين بمذهب الارتقاء والنشوء ويقال ايضاً مذهب التسلسل والتحوّل خلاصتهُ انّ الانواع التي تُرى على وجه الارض من ضروب النبات واصناف الحيوان حتى الانسان نفسهُ عائدة الى اصل واحد تفرّعت منهُ على مقتضى ناموس النموّ الطبيعيّ والارتقاء بفعل بعض العوامل الخارجيّة اذ تنتخب الطبيعة من مواليد الاحياء ما يوافقها وتلاشي ما لا يوافقها فيحصل بذلك الانتخاب الطبيعيّ بقاء الاصلح. وعليهِ يجب القول انّ الانسان تفرّع من البهيمة العجماء كما انّ الحيوان غير الناطق كان في الاصل نباتاً وان فُقدت بتوالي الازمنة بعض الحلقات المثبتة لتواصل السلسلة . ولا يستكف تبعة دروين عن القول بانّ النبات ذاتهُ تفرّع من الجماد بل يجعل بعضهم المادّة ازليّةً وان كان دروين لم يبلغ الى جحود الخالق ونفي الخلق

وليس من غرضنا ان ننقد هذه المزاعم وكفانا القول بان فئة من اعظم علماء العصر قد زيّفوا هذا المذهب وبيّنوا انّهُ لم يُبْنَ على اساس علميّ منهم ميفرت (Mivart) العالم الشهير الذي قال في كتابهِ عن تكوين الانواع (ص ٦٣ الخ) « انّ مذهب دروين لا يمكن تأييدهُ بالبرهان بل هو رأي صبيانيّ ». وقال العلّامة الفرنسويّ اغاسيز (Agassiz) : « انّ مذهب دروين وهمٌ باطل لا حقيقة لهُ في

العلم بل لسلوبهُ خارج عن الخطة العلميَّة » . وهذا الحكم الصارم في التحوُّل والنشوء قد ابرزهُ الموالون لدروين واصحابهُ انفسهم بل اللاحدة الماديّون ما يبيّن انَّهُ ليس ثمت تعصُّب دينيّ كما يزعم البعض . قال العلّامة الالماني فرخو (Virchow) : « لا يسوغ لنا ان نحكم بأن الانسان سلالة قرد او غيره من البهائم ولا يجوز أن نفوه بمثل هذا القول » . وقال ولّس (Wallace) في كتابهِ عن الانتخاب الطبيعيّ (ص ٣٣٢) : « لا يصحّ في الانسان رأي دروين في الارتقاء بالانتخاب الطبيعيّ ولا بُدَّ من القول بانهُ خُلق رأساً » ومثلهُ ونشل (Winshell) في كتاب الارتقاء كرَّر غير مرَّة « ان دعوى الارتقاء لم تثبت ببرهان » . واصرح منهُ قول هكسلي (Huxley) صديق دروين (في كتاب خطبهِ ص ٢٢٦) : « لم يثبت لنا حتى الآن بالبرهان انَّ نوعاً من النبات او الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعيّ » ومثلهُ صراحة تندل (Tyndall) الشهير في كتابهِ فائدة التخيُّل العلميّ (ص ٤٦٩) فقال : « لا ريب في انَّ الذين يعتقدون رأي الارتقاء يجهلون انَّهُ نتيجة مقدّمات لم يُسلَّم بها » . واعجب من هذه الاقوال اقرار دروين عينهِ في كتابهِ اصل الانواع (ص ٤٨١ من طبعتهِ الاولى) : « يدفعني التشابُه والتمثيل الى القول بانَّ كلّ الحيوانات والنباتات من اصل واحد لكنَّ التمثيل دليل خادعٌ (١) »

*

فاذ عرفتَ مجمل مذهب دروين ورأي العلماء في بطلانهِ بقي علينا ان نعمل النظر في اقوال القديس اغوستينوس ونقابلها مع مذهب دروين لنبيّن ما بينهما من التشابه او التباين

واوَّل ما يمنّ لنا انهُ من المستغرب ان يقال عن ثابتة كالقديس اغوستينوس أجمع العلماء وارباب الدين على تعظيمهِ في كلّ جيل انهُ ارتأى رأياً دعاهُ علماء عصرنا الاثبات رأياً واهناً ووهماً خالياً من السند العلميّ ومذهباً صبيانياً . او ليس الاحرى ان يقال انَّ صاحبنا الدكتور ابا خاطر والدكتور كابانس نسبا اليهِ زوراً ما لم يقل بهِ

---

١) راجع كتاب اصل الانسان والكائنات لحضرة المنوري جرجس فرج صفير وكتاب الحقّ في الردّ على بطل دروين لابرهيم افندي حوراني

والحقّ يقال اننا راجعنا في الاصل اللاتينيّ الشواهد التي عرّبها الدكتور امين ابو خاطر فرأيناها او بعيدةً عن الاصل او مبتورةً عن قرائنها التي تفسّر معناها او مختصرةً مشوّهة بالاختصار او ناقصة في مظانّها لعدم الضبط في تعيين فصولها اللاتينيّة المنقولة عن تأليف القديس اوغستينوس المنون « بالتكوين بالمعنى الحرفي » (de Genesi ad Litteram) . وهذا التأليف قد قسمهُ مؤلفهُ اللفان الى اثني عشر كتاباً وهو يشغل في مجموع الآباء اللاتين لمين ٢٦٥ صفحة بالحرف الناعم في ٣٣٠ فصلًا (Migne. P. L., XXXIV. p. 225-485) فغاية ما نقلهُ الدكتور ابو خاطر منها لا يزيد عن ثلاث صفحات انتزعها من ذاك التأليف الواسع كما تُنتزع بعض الحجارة من بناء عظيم فتفقد كلّ رونقها ومعناها

وكان يحقّ على الدكتور امين كاشف هذه الكنوز الدفينة ان يدرس التأليف الذي قصد تبيان مكنوناته درساً نعمًا فيبيّن خواصّهُ ويفيدنا عن غاية القديس اوغستينوس من تأليفهِ ويتتبّع كلّ اقسامهِ ويثبت علاقتهُ لعلّهُ كان اقنعنا بعد ذلك عن درونيّة ذاك النابغة . فبروايتهِ لبعض اسطر قصيرة نقلها من هنا ومن هناك قد خدع قرّاءه واوقعهم في حيص بيص . قال بعض مشاهير الكتبة : « ليس من كتاب على وجه الارض الّا يوجب الشنق على صاحبهِ اذا نُقلت عنهُ نُتَفٌ يتغيّر معناها بانتزاعها من قرائنها »

هلمّ بنا اذن نبحث عن مذهب القديس اوغستينوس بخصوص تكوين العالم والمخلوقات فنقول :

(اوّلًا) انّ القديس اوغستينوس في نصوص لا تُحصى من كتبهِ العديدة قد اثبت انّ الله تعالى قد خلق العالم واخرجهُ من العدم بلْ حرّيته في بدء الزمان . ومع ترجيحهِ لكثير من آراء افلاطون قد ردّ على افلاطون وتبعتهِ بخصوص تكوين العالم فبيّن كونهُ من العدم وحرّية الخالق في خلقهِ وامتياز الجوهر الالهيّ الواجب الوجود والغير المتناهي عن مخلوقاتهِ الزمنيّة المحصورة في كونها وكمالاتها المنوطة بصانعها . فمن هذا القبيل يخالف اوغستينوس فريقاً كبيراً من كلّ اصحاب النشوء والتحوّل الذين قالوا بقدم العالم وينطبق تعليمهُ مع تعليم كلّ آباء الكنيسة دون استثناء .

(ثانياً) لمّا رجع القديس اوغستينوس الى الله بالتوبة ونبذ مزاعم المانويين

القائلين بالثنوية اي بمبدأي الخير والشر والناسبين خلقة العالم للاله الشر حاول الرد عليهم بعد سنة واحدة من ارتداده الى الله فوضع من السنة ٣٨٨ الى ٣٩٠ كتابه الذي عنوانه « في التكوين ردًا على المانويين » وقد شرح في هذا التأليف اعمال الله في ستة ايام الخليقة كما رواها موسى في اول سفر التكوين شرحاً رمزيًا كأنها ستر رؤى كشفها الله لموسى عن بدء الخليقة والقديس اغستينوس في كتاب اعلاحاته (ك ١ ف ١٠) يلوم نفسه على تأييده لهذا الرأي

ثم عاد القديس بعد ثلاث سنوات (سنة ٣٩٣) فاستأنف وهو كاهن شرح سفر التكوين في تأليف جديد قصد ان يفسر فيه كتاب موسى تفسيراً حرفيًا لا سيما فصوله الاولى عن الخليقة . فوضع من هذا التفسير ستة عشر فصلًا في نحو ٣٠ صفحة لكنه عدل بعد ذلك عن تتمته لما رأى انَّ العمل اتسع به الى حدٍّ بالغ حتى كاد ينوء تحت اعبائه كما قال . وقد سماه بشرح سفر التكوين الحرفي (de Genesi ad Litteram liber imperfectus)

وكأنَّ القديس العلّامة خجل من تكوصه فلمّا كانت السنة ٤٠١ وهي السنة الخامسة من اسقفيته على بونة شدَّد عزيمته وباشر بتأليف اوسع على طريقة جديدة وسماه مثل كتابه السابق « شرح سفر التكوين بالمعنى الحرفي » وهو الكتاب الذي نحن بصدده . وقد قضى نابغة افريقية اربع عشرة سنة في تصنيفه فلم ينته منه الّا سنة ٤١٥

وكانت غاية القديس من وضعه لهذا الكتاب بيان التوفيق بين سفر التكوين والعلوم الشائعة في عصره ليفحم الذين زعموا كالملاحدة في زماننا ان العلم والدين خصمان متنافران لا شقيقان متآخيان . وكان مفسرو الكتب المقدسة في عهده ينقسمون الى قسمين فمنهم الاسكندريون كاوريجانس وتبعته الذين كانوا يشرحون سفر التكوين شرحاً رمزيًا فجنح اليهم اوغستينوس في كتابه الاول حيث ردَّ على المانويين ثم عدل عن رأيهم كما رأيت . والقسم الآخر السوريون وانصار مدرسة انطاكية الذين كانوا يتشبثون بالشرح الحرفي . فاراد القديس اوغستينوس التقرب من طريقتهم في هذا الكتاب دون لزوم كلّ آرائهم وبذلك نهج طريقاً وسطى

(ثالثاً) مجمل رأي القديس اغوستينوس في تكوين العالم يرجع الى امرين :

الاوّل انّ الله خلق الكائنات بفعل واحد من مشيئته الالهيّة كما ورد في المزامير (٣٢ : ٩) : «قال فكانت امر فوُجدت» وقد أيّد القديس قولهُ بآية من سفر يشوع بن سيراخ (١٨ : ١) التي منطوقها في ترجمتنا العربيّة هكذا «الحيّ الدائم خلق جميع الاشياء عامّةً» فقولهُ «عامّة» اراد بهِ دون استثناء. والترجمة موافقة للاصل اليوناني (κοινῇ) لكنّ الترجمة اللاتينيّة التي استند اليها القديس اغوستينوس منطوقها على هذه الصورة «creavit omnia simul» فلفظة simul معناها «سوا» اي «خالق الله كلّ شيء معاً» فعلى هذا النصّ اللاتينيّ بنى القديس مذهبهُ في خلقة العالم فارتأى ان تكوين المخلوقات قد تمّ في طرفة عين ليس في ازمنة متوالية بل سواء ومرّة واحدة

والامر الثاني انّ العالم مع كونهِ خُلق في زمن واحد لم يُخلق في كمالهِ وحسنهِ وانّما خلق الله تعالى مادّة الكون وجعل فيها قوّات تُبرز فعلها بتوالي الاجيال بعد ان تكون المادّة بالتقلّبات الطارئة عليها ترشّحت لقبول تلك الكائنات فيبعث الله اذ ذاك تلك القوّات الكامنة ويوليها ان تظهر بصورتها الخاصّة بها. ففعلُ الله في تنظيم المادّة وتهيئتها لطور جديد ذلك ما يدعوهُ القديس اوغستينوس بأيّام الخليقة الستّة وهو لا يريد ان تُشبّه تلك الايام بأيّامنا البشريّة المقيسة بالساعات. لأنّ الشمس والقمر النيّرين العظيمين اللذين نتخذهما لقياس زماننا لم يُخلقا على ما ذكر موسى الّا في اليوم الثالث فكفى بذلك دليلًا على انّ موسى لم يقصد أيّاماً كأيّامنا بل اطواراً غير مقيسة تحسّنت فيها المخلوقات بتوسّط الخالق

وقد شرح اوغستينوس معنى أيّام الكون شروحاً اخرى فقال (في شرح التكوين ردّاً على المانويين ك ١ ف ٣٣) انّ موسى قسم تكوين العالم الى ستّة اقسام ليجعل عمل الله كمثال الاسبوع للانسان فيشتغل ستّة أيّام ويستريح في اليوم السابع. وقال ايضاً (ك ١ ف ٣٤) انّهُ من المحتمل انّ اطوار الخليقة الستّة تدلّ على اطوار حياة الانسان واليوم السابع على راحة نفسهِ في الابديّة. وقال ايضاً (ك ١ ف ٣٥ — ٤٢) انّ للعالم ستّة ادهار فالدهر السابع يدلّ على نهاية العالم ويوم الابديّة

فهذه الشروح كلها وغيرها ايضاً عرضها القديس اغوستينوس دون ان يقطع بها وغايتهُ ان ينفي أياماً زمنيَّة كأيامنا

وكأني بكابانس والدكتور امين يعترضان علينا قائلين: ان كانت المخلوقات كلها قد خُلقت في زمن واحد أفلا ينتج من ذلك انَّ الله تعالى اودع في المادَّة قوَّة كي تبرز من ذاتها بالنشوْ والترقي في كور الادهار المواليدَ النباتيَّة ثمَّ بعدَ اجيال أخرى المواليد الحيوانيَّة الى أن تنتهي اخيرًا الى صُنع الانسان . وهذا هو مذهب النشوْ بالذات . وعليهِ فيصحّ القول ان القديس اوغستينوس هو مخترع المذهب الدروينى القائل بتحوُّل المخلوقات فما قولنا

نجيب على ذلك بانَّ القديس اوغستينوس قد اغنانا عن مشقَّة البحث في تعريف مذهبهِ ولو زاد كابانس والدكتور امين ابو خاطر تعمُّقاً في درس اقوالهِ لأدركا مقصودهُ لا محالة

انَّ القديس اغوستينوس يقسم المخلوقات كلها الى قسمين: قسمٌ منها خُلق في كمال نوعهِ منذ البدء والقسم الآخر قد خلقهُ الله « في قوَّتهِ مكنونًا في اسبابهِ » « .. Deum ab exordio sæculi primum simul omnia creavisse, quædam conditis jam ipsis naturis, quædam præconditis causis » او كما يقول في محل آخر خلقهُ بالقوَّة والعلَّة « potentialiter et causaliter » ويشبّه خلق الله للمخلوقات بالبزرة الصغيرة التي تحتوي في ذاتها بالقوَّة جذر الشجرة واغصانها واوراقها وازهارها وثمارها التي كلها في البزرة لكنها لا تظهر الَّا في اوقاتها الملائمة . (acceptis opportunitatibus prodeunt) فكذلك العالم لمَّا خلقهُ الله جعل ضمنهُ جراثيم كلّ المخلوقات اصليًّا ومباشرةً كعلَّات زرعيَّة (rationes seminales) وتظهر في الوجود عند استعداد المادَّة لقبولها

وقد ظنَّ البعض كالاستاذ تسام (Zahm : *Bible, Science et Foi*) ان القديس اغوستينوس بقولهِ هذا قد اراد تسلسل الانواع بعضها من بعض وهو شطط ينفيهِ القديس صريحاً في التأليف الذي نقل عنهُ كابانس والدكتور ابو خاطر حيث قال (في الكتاب التاسع الفصل ١٧ ع ٣٢) مؤكدًا ثبات الانواع وعدم نشوْ

بعضها من بعض فقال ما ترجمتهُ الحرفيّ: «انَّ لعناصر هذا العالم الهيولي قوَّتها المحدودة وصفاتها الخاصَّة التي منها يُعرف ما يستطيعهُ كلّ واحد منها وما سينتج او لا ينتج من كلّ منها ... ومن هذا يحصل كون حبَّة الحنطة لا يخرج منها حبَّة فول ولا من الفول حبَّة حنطة وكذلك من الحيوان لا يولد انسان ولا من الانسان حيوان»

فاين هذا القول من مذهب دروين فانَّهُ منهُ على طرفي نقيض. ويخالف القديس اغوستينوس مزعم دروين في امر آخر. فانَّ دروين سواء قال بالخلق الاوَّل او لا يجعل في الكائنات قوَّةً ذاتيَّة تمكنها دون فعل الخالق من الترقّي من نوع الى آخر. امَّا القديس اغوستينوس فيجعل تلك العلل الاصليَّة والجراثيم الاوَّلية تحت حكم الخالق فهو وحدهُ الذي يوليها القوَّة مبدئيًّا لتخرج الى حيّز الوجود بعد كيانها في اسبابها الاوَّليَّة. وهذا الامر يثبتهُ خصوصاً في تكوين الابوين الاوَّلين ليس فقط في النفس التي نفخها الله فيها بعد عدمها ولكن ايضاً في جسدهما الذي كانت عناصرهُ في تراب الارض. فقال في تأليفهِ عن التكوين بالمعنى الحرفيّ (ك ٧ ف ٢٤ ع ٣٥): «فليقرُّوا اذن اذ لا يوجد في الكتب المقدَّسة ما ينفي هذا الرأي بانَّ الانسان قد جُبل في اليوم السادس على هذا المنوال. فمن حيث الجسد كانت اصولهُ مكنونة في عناصر العالم امَّا نفسهُ فخُلقت خلقاً تامًّا كما خلق الله الكائنات في اليوم الاوَّل (اي من العدم) ... ولمَّا حان الوقت نفخها في الجسد المجبول من التراب (١)»

ومما يزيد نفي القديس اغوستينوس لمذهب المادّيين انَّهُ يرذل التولُّد الذاتي الذي ذهب اليهِ قدماء الفلاسفة وكثيرين من المادّيين في عهدنا (٢ قال في كتابهِ الثالث عن الثالوث الاقدس (ف ٨ ع ١٣). «ليس من حيوان يتولَّد تولُّدًا ذاتيًّا لكنَّ توالد الاجسام الحيَّة كلّها جراثيم غير منظورة هي مكنونة في عناصر الطبيعة»

---

١) وهذا قولهُ الحرفيّ Credatur ergo, si nulla Scripturarum auctoritas seu veritatis ratio contradicit, hominem ita factum sexto die, ut corporis quidem humani ratio causalis in elementis mundi; anima vero jam ipsa crearetur, sicut primitus conditus est dies ... donec eam suo tempore sufflando, hoc est inspirando, formato ex limo corpori insereret. (*De Gen. ad Lit.* l. VII. c. 24)

٢) راجع مقالة الاديب منصور افندي السوداء في اصل الحياة (ص ٥٢٧)

فبعد هذه الشروح يتّضح معنى النصوص المتلوة التي نقلها كابانس والدكتور ابو خاطر فحملاها على غير مقصودها فكلها تشير الى الامرين الذين سبق ايرادهما اعني خلقة المخلوقات في زمن واحد وتكوين الجراثيم الاصلية التي بتوالي الازمان برزت الى عالم الكون تحت نظارة باريها وبقوّة فعله

ولسنا نقول انّ مذهب القديس اغوستينوس هو المذهب الاصحّ في تفسير تكوين العالم او انهُ خلو من كلّ مأخذ (فانّ هذا يستدعي درساً خصوصيًّا نضرب عنهُ صفحاً) ولكننا نؤكد انّ مذهبهُ بعيد جدًّا عن المذهب الدوويني وانّ اللذين نسبوا اليهِ رأي النشوْ والترقّي حادوا عن الصواب وخبطوا خبط عشواء فعليهم ان يطلبوا لمذهب النشوْ شفيعاً غير القديس اوغستينوس والسلام

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

ألوهيّة المسيح في معجزاتهِ

اثبت السيّد المسيح الوهيّتهُ بقداسة سيرتهِ التي شهد لها اعداؤهُ فضلاً عن تلاميذهِ وتبعتهِ . ذلك ما تحقّقناهُ في الفصل السابق باستقراء اعمال حياتهِ التي وجدناها مرآة اسمى الفضائل وخلاصة كل البرّات

لكنّ الانبياء كانوا سبقوا وقرّروا بان المسيح اذا جاء اجترح المعجزات العظيمة وصنع الآيات الباهرة التي تفرزهُ عن السحاء الكذبة . قال اشعيا (٣٥: ٤-٦): « لا تخافوا . هذا إلهكم .. هو يأتي ويخلّصنا حينئذٍ تنفتح عيون العُمي وآذان الصمّ تتفتّح وحينئذٍ يطفر الاعرج كالايّل ويترنّم لسان الابكم » . وكان في تقليد اليهود ان المسيح سوف يصنع عجائب اعظم من عجائب موسى والانبياء . فكان لا ندحة لمن يدّعي كونهُ المسيح الموعود ومنتظر الامم ان يؤيد قولهُ بصنيع الخوارق والمعجزات

ولا غرو ان المعجزة الصحيحة المتواترة التي تفوق كلّ قوى الطبيعة هي وحدها تستطيع ان تثبت دعوة المرسلين من الله . فانها كالخاتم الملكي الذي يُختم به منشور السلطان ليُعرف انهُ صادر من ديوانهِ فلولاهُ لما امكن المأمورين ان يميّزوا بين رسالة الملك وكتابة احد المشوذين . وما دام الارتياب فلا تتحتّم الطاعة على المرؤوسين ريثما يزول كلّ شكّ بظهور امضاء الملك ووضع خاتمهِ . فكذلك المعجزة هي خاتم الله المثبت لدعوة رسلهِ الصادقين فان لم يأتِ الرسول بآيةٍ لتحقيق رسالتهِ كان خارجيًّا خادعاً او مخدوعاً والذي يقبل دعوتهُ يكون غرًّا جاهلًا

فاذ قام يسوع ابن مريم بين امّتهِ وادّعى انهُ هو المسيح كان لا بُدَّ لهُ ان يثبت قولهُ بالمعجزات ليزيل كلّ ريبٍ في شخصهِ . فهل يا تُرى حقّق يسوع هذا الشرط وافتعل الآيات التي تبيّن انهُ ليس فقط مرسلًا من الله بل الهًا حقًّا كما قال ؟

١ وصف معجزات السيّد المسيح

ان معجزات السيّد المسيح قد اتّصفت بصفات لم تتكيّف بها آيات غيرهِ من الرسل

واوّل ما امتازت بهِ تلك المعجزات عددها العديد الذي كان كافياً لينفي كلّ مكر وخداع ويثبت صحّتها . وقد صرّح الانجيليون غير مرّة بوفرة عددها فذكروها اجمالًا لقصورهم عن تعدادها قال متى (٤ : ٢٣ — ٢٤) : « وكان يسوع يطوف الجليل كلّهُ ... ويشفي كل مرضٍ وضعف في الشعب فذاع خبرهُ في جميع سورية فقدّموا اليهِ كلّ من كان بهِ سوء من المعذّبين بالامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم شياطين والمتخرّين في رؤوس الاهلّة والمخلّعين فشفاهم » . ثمّ كرّر مثل هذا القول في مواطن اخرى (٨ : ١٦ ثمّ ١٢ : ١٥) ولاسيما في الفصل الخامس عشر (ع ٣٠ — ٣١) حيث قال : « فدنا اليهِ جموع كثيرون معهم خُرس وعميان وعُرج ومعوّقون وآخرون كثيرون فطرحوهم عند اقدامهِ فشفاهم حتى تعجّب الجموع لانهم رأوا الخُرس يتكلّمون والعُرج يمشون والعميان يبصرون ومجّدوا اله اسرائيل » . ومثلهُ مرقس (١ : ٣٢ و٤٥ ثمّ ٣ : ١٠ — ١٢) ومثلهما لوقا (٤ : ٤٠ — ٤١ ثمّ ٥ : ١٧ ثمّ ٦ : ١١) وهو الذي اعلنا (٦ : ١٩) بانّ « كلّ

الجمع كانوا يطلبون ان يلمسوهُ لأنَّ قوَّةً كانت تخرج منهُ وتُبرئ الجميع » ولم يخالفهم يوحنَّا الذي ختم انجيلهُ بقولهِ (٢٠ : ٣٠—٣١ و٢١ : ٢٥) : « انَّ يسوع اصطنع آيات كثيرة لم تُكتب » وانَّ اعمالهُ « لو كُتبت واحدةً واحدةً لما ظنَّ ان العالم نفسهُ يسع الصُّحف المكتوبة » مشيرًا بهذا الغلوِّ البديعيِّ الى آياتهِ غير المحصاة . وقد افادنا في محل آخر (٧ : ٣١) انَّ كثيرين من الجمع آمنوا بهِ قائلين : « اذا جاء المسيح أفلعلَّهُ يعمل آياتٍ اكثر ممَّا عمل هذا »

وليست معجزات السيِّد المسيح وافرةَ العدد فقط لكنها مختلفة الانواع بحيث لا يستطيع احد ان ينسبها الى علل طبيعيَّة لانَّهُ تبارك اسمهُ في وقت واحد كان يصطنع آيات غاية في الاختلاف اما بمجرَّد لمسهِ او بوضعهِ يديهِ على المرضى او بمسيس ثوبهِ او دون لمس البتَّة بمجرَّد ارادتهِ حتى ولو بَعُد المرضى عنهُ دون ان ينظرهم او ينظروهُ . فهما طلب الملحدون تعليلًا لعجائبهِ لزمهم الاقرار بحبط مساعيهم

وقد ذكر الانجيليُّون بعضًا من هذه الآيات فعدَّدوا منها ٢٨ معجزةً شملت كلَّ قوَّات الطبيعة التي ظفر بها ابن الله فمنها ذلَّل بها الكائنات غير الناطقة فحوَّل الماء خمرًا في عرس قانا (يو ٢ : ١ — ١١) ووفَّر صيد الاسماك لتلاميذهِ مرَّتين بنوع عجيب (لو ٥ : ١ — ١١ ويو ٢١ : ١ — ١٣) واخمد بامرهِ نوْ البحر (مت ٨ : ٢٣ — ٢٧) واوجد في فم سمكةً استارًا لدفع الجزية (مت ٧ : ٢٣—٢٦) ومشى على مياه البحر (مت ١٤ : ٢٣ — ٣٦) وكثَّر الخبزات والاسماك مرَّتين فقات بها ألوفًا من الآكلين (مت ١٤ : ١٥ — ٢١ ثم ١٥ : ٣٢ — ٣٨) وتجلَّى امام تلاميذهِ فكسا نفسهُ بالنور واضاء وجههُ كالشمس (مت ١٧ : ١ — ٩)

وثلاث عشرة معجزة اخرى خصَّ بها الانجيليُّون شفاء الامراض وهي شفاؤهُ لأبرص (مت ٨ : ١—٤) ثمَّ لعشرة بُرص معًا (لو ١٧ : ١٢—١٩) ثمَّ مرَّتين لمخلَّعين (مت ٩ : ١ — ٧ ويو ٥ : ١—١٥) ثم ابرائهُ لليابس اليد (مت ١٢ : ٩—١٣) ثم للمنزوفة بتنزيف دم (مت ٩ : ٢٠ — ٢٢) ثمَّ شفاؤهُ لحماة بطرس من الحمَّى (مت ٨ : ١٤—١٥) ثمَّ فتحهُ لعيني المولود اعمى (يو ٩) ولعيني اعمى بيت صيدا (مر ٨ : ٢٢—٢٦) ولعيون اعميين آخرين قرب اريحا (مت ٢٠ : ٢٩—٣٤) ثم شفاء الاصمِّ الابكم (مر ٧ : ٣٢—٣٧) والملوِّ بداء الاستسقاء (لو ١٤ : ٢—٦)

ثم ابن رئيس كفرناحوم (يو ٤ : ٤٦—٥٤) وغلام قائد المئة (مت ٨ : ٦—١٣)

وثلاث معجزات أخر اقام فيها الموتى اعني ابنة يائير رئيس المجمع (متى ٩ : ١٨ —٢٦) ووحيد ارملة نائين (لو ٧ : ١١—١٧) ثم لعازر (يو ٧ : ١—٤٤)

ويجوز ان تضاف الى هذه الآيات خوارق أخر حدثت بسبب المسيح لتثبت دعوتهُ كظهور الملائكة عند مهدهِ او في عدَّة اطوار من حياتهِ (مت ١ : ١٠ ثم ١ : ١٣ و١٩ ثم ٤ : ١١ ثم ٢٨ : ٢ و٥—ومر ١ : ١٣ — ولو ١ : ٢٦—٣٨ ثم ٢ : ٩—١٥ ثم ٢٢ : ٤٢— ويو ٢٠ : ١٢) وكظهور النجم للمجوس (مت ٢ : ٢) وكصوت الاب يوم عمادهِ (مت ٣ : ١٧ الخ) ويوم تجليهِ (مت ١٨ : ٥) ويوم صلاتهِ في الهيكل الى ابيهِ كي يمجدهُ ابوهُ (يو ١٢ : ٢٨) وكظهور الروح القدس على شكل حمامة في عمادهِ (مت ٣ : ١٦ الخ) وظهور موسى واياياً في تجليهِ على جبل الطور (مت ١٧ : ٣) وكانتشار الظلمة على الارض وقت صلبهِ (مت ٢٧ : ٤٥ الخ) وانشقاق حجاب الهيكل وزلزلة الارض وقيامة اجساد القديسين وظهورهم عند موتهِ (متى ٢٧ : ٥١—٥٤) فكلّ هذه العجائب قد جرت بسبب السيد المسيح وكلُّها تشهد لعزَّتهِ وعلو مقامهِ

ومما يزيد قدْر هذه المعجزات وقوَّة دليلها انَّها لم تجرِ في ظلمة الاجيال السابقة للتاريخ او بين شعب عريق في الهمجيَّة او في القفار ومجاهل البلاد بل حدثت في ازمنة راقية في التمدُّن وسط الشعب اليهوديّ الذي فاق على سواهُ بكتبهِ المقدَّسة وبمعرفتهِ لدين الحقّ وكثرة انبيائهِ الذين عوَّدوهُ على صنيع الآيات وبنظام احبارهِ وكهنتهِ وكتبتهِ ممَّن لا ينخدعون بالشعوذة

وزد عليهِ انَّ المسيح لم يصنع معجزاتهِ خفيةً بل في الشوارع والساحات وفي مدن كبيرة وعلى الجبال وفي هيكل اورشليم حيث كان يحدق بهِ الوفٌ من الناس يلحظون كل حركاتهِ لا يفوتهم شيءٌ منها

وكان بين اولئك الجموع عدد وافر من اعداء المسيح الذين كانوا يرصدونهُ ويتتبَّعون كلّ اعمالهِ ليرموا عليهِ الشكوى ويشهموهُ بالسحر ويهيِّجوا عليهِ القوم منهم الفريسيُّون والهيرودوسيُّون والصدوقيُّون والكهنة ورؤساء الشعب وكلُّهم ناقمون عليهِ لكشفهِ رياءهم وخبثهم وتقريعهِ لكبريائهم وتنديدهِ بطامعهم فلو رأوا

شبهةً في احدى آياتهِ لطعنوا عليهِ جهارًا وطاخروهُ بالمثالب . وقد تجرأ بعضهم فقال عنهُ في الشعب انهُ يصنع تلك المعجزات بقوَّة الشيطان وبواسطة بعلزبوب فلم يأنف السيّد المسيح ان يردّ عليهم ويلقمهم الحجر حتى لم يعودوا الى مثل تلك التهمة (مت ١٢: ٢٦—٢٧ ولو ١١: ١٩)

لا بل زادنا اعداء المسيح ثقةً بعجائبهِ اذ ارادوا غير مرَّة ان يبحثوا عن صحَّة معجزات الربّ ليجدوا فيها مغمزًا فينكروها . وقد صنعوا ذلك خصوصاً عند شفائهِ للضرير الأكمه الذي روى خبرهُ يوحنَّا (ف ٩) فان الفريسيين استنطقوهُ هو ووالديهِ ومن كان يعرفهُ ليعلموا بصحَّة شفائه فانجلى لهم الحقّ كانجلاء الشمس في كبد السماء لكنَّهم صمُّوا الآذان عن صوتهِ واعموا ابصارهم دون نورهِ الساطع فرذل الله امَّتهم

٢ خواصّ معجزات السيّد المسيح

ولعلّ معترضاً يوقفنا عند هذا الحدّ فيقول انَّنا نسلّم بمعجزات يسوع وقد نطق بها القرآن ايضاً فذكر (سورة آل عمران ع ١٣ وسورة المائدة ع ١١٠) انهُ «جاء بالبيّنات وانهُ ابرأ الأكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله» ولكن لم يأتِ بالمعجزات غير المسيح من الانبياء فهو كواحد منهم ولا فضل لهُ على سواهم

كلّا ليست معجزات السيّد المسيح كمعجزات بقيَّة الانبياء بل هي تفوق عليها من عدَّة وجوه

فمن خواصّها انَّها كلّها للرحمة والنعمة على خلاف معجزات الانبياء السابقين فانَّ خوارقهم مقسَّمة بين الرحمة والنقمة . هذا موسى كانت اكبر آياتهِ الضربات العشر التي ضرب بها المصريين وملكهم فرعون بل ضرب بني اسرائيل نفسهم عدَّة ضربات لمَّا اعمل فيهم السيف عند نزولهِ من جبل سينا فرآهم عبدوا العجل فقتل منهم ثلاثة الآف رجل (الخروج ٣٢ : ٢٨) ثمَّ ضربهم ثانية عند فجورهم ببنات موآب فقتل منهم ٢٤,٠٠٠ رجل (سفر العدد ٢٥ : ٩) وضرب قورح وداثان وابيرام مع ١٤,٧٠٠ آخرين يوم عصيانهم عليهِ (العدد ١٦ : ١—٤٩) وغير ذلك من الضربات التي ظهر فيها عدل الله وثبتت سلطة عبدهِ

ومثلهُ ايليًّا الذي ضرب الارض بالقحط ثلاث سنوات (٣ ملوك ١٧ : ١) وقتل انبياء البعل (٣ مل ١٨ : ٤٠) وانزل نار السماء على مئة من الجند الوفدين اليهِ من قبل أحزيا الملك ليسكوهُ (٤ مل ١ : ٩—١٦)

وكذلك اليشاع (٤ مل ٢ : ٢٣—٢٤) لعن باسم الرب ٤٢ صبيًّا هزئوا بهِ فخرجت دبَّتان من الغاب وافترستاهم

اما معجزات السيد المسيح فلا ترى فيها اثرًا للغضب او للانتقام · فلم يضرب احدًا من اعدائهِ بآفةٍ ما بل شفى مرضاهم كما فعل بغيرهم فكذا صنع بابنة يائير رئيس المجمع (مر ٥ : ٢٢ ولو ٨ : ٤١) وردَّ للكس اذنهُ اليمنى التي قطعها بطرس بسيفهِ (يو ١٨ : ١٠ ولو ٢٢ : ٥١) ولم يشأ ان ينزل نار السماء على قرية سامرية لم يقبلهُ اهلها كما طلب ذلك منهُ تلميذاهُ يوحنا ويعقوب بل زجرهما بقولهِ : « لستما تعلمان من اي روح انتما » (لو ٩ : ٥١—٥٥) · وتراهُ في كلّ وقت آلامهِ يحتمل كلّ العذابات كحمل وديع لا يصنع ادنى آيةٍ لينتقم من اعدائهِ بل يصلّي لاجلهم ويطلب لهم المغفرة من ابيهِ السماوي بقولهِ : « انهم لا يدرون ما يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) ومع كثرة ما جرى من المعجزات عند موتهِ لم يُصب باذىً ما احدٌ اعدائهِ · بل كان في حياتهِ لا يريد ان يدين احدًا حتى المرأة الزانية (يو ٨ : ١١) رحمها ولم يحكم عليها (١ وهو القائل (يو ١٢ : ٤٧) : « ان كان احد يسمع اقوالي ولا يحفظها فانا لا ادينهُ لأني لم آتِ لادين العالم بل لأخلّص العالم » وكان اذا اراد ان ينذر البشر بعقوبة يمثلها لهم في النبات او في الحيوان كما فعل لمّا ايبس التينة غير المثمرة (مر ١١ : ١٢—٢١) ولمّا سمح الابالسة ان يدخلوا في الخنازير (لو ٨ : ٣١) · فترى كيف تفوق معجزات السيد المسيح على آيات الانبياء مؤيَّد في شخصهِ الكريم قول النبيّ اشعيا عنهُ (٤٢ : ١—٣ ومت ١٢ : ٢٠) : « هوذا عبدي الذي اعضدهُ مختاري

---

١) ومن العجب انَّ عبد الوهَّاب افندي النشّار في كتابهِ الاخير الموسوم بتاريخ الفحشاء الملو عمًّا على النصرانيَّة لم يخجل بان ينسب رحمة السيّد المسيح نحو الزانية الى تنشيط الفحشاء وهو الذي حذرها من العود الى الخطيئة وكسر سمّ نخوة الفريسيين بحكمتهِ العجيبة . فهكذا يعمي الغرض اصحابهُ

الذي سُرَّت بهِ نفسي قد جعلتُ روحي عليهِ فهو يبدي الحكم للأمم ... قصبةً مرضوضة لا يكسر وكتّاناً مدخّناً لا يطفئ ...)

وقد احسن احمد شوقي الشاعر المصريّ في وصفهِ لرفق السيّد المسيح ورحمتهِ فقال في ديوانهِ (الشوقيّات ص ١٣) :

وُلد الرفقُ يوم مولد عيسى والمروّات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الارجاء
وسرت آيةُ المسيح كما يَسْـ ـسري من الفجر في الوجود الضياء
ملأ الارض والعوالم نورًا فالثرى ماثجٌ بها وسَنَاء
لا وعيدٌ لا صولةٌ لا انتقامٌ لا حُسام لا غزوةٌ لا دماء

ويوجد فرقٌ آخر بين معجزات السيّد المسيح وبقيّة الانبياء وهو انَّ آيات سائر الانبياء محصورة في تذليل بعض العناصر لحكمهم بقوّة الله فهذا يفلق البحر كموسى وذاك يقهر سلطان النار كالفتية الثلاثة فتكفّ عن الحريق وغيره يلجم شراسة الاسود كدانيال فلا تؤذيه . ومنهم من يحيي ولدًا ميتاً كاليشاع او يشفي ملكاً مريضاً كاشعيا او يوقف الشمس في مسيرها كيشوع بن نون الى غير ذلك من العجائب التي روتها الكتب المقدّسة

اما معجزات السيّد المسيح فانّها تناولت الكون باسره فتارةً يغيّر جواهر الكائنات فيحوّل الماء الى خمر وتارةً يوفّرها ويضيفها كما فعل مرّتين لمّا قات الجموع في البرّية فاشبعهم خبزًا وسمكاً . يثور الرياح فتسكن ويجتمد الماء تحت قدميهِ فيسير عليهِ . يأمر الملائكة فتخدمهُ بعد صومهِ . الشمس والقمر يشهدان لهُ عند موتهِ . الموت يردُّ فرائسهُ حتى بعد اربعة ايام من موتهم باسر منهُ . الشياطين تخرج صارخةً امامهُ : حقًّا انت قدّوس الله (مر ١ : ١٤ لو ٤ : ٤١) الماهات كلّها طوع مشيئتهِ لا يعصى عليهِ ايُّ مرضٍ كان . فهيهات ان ترى نبيًّا صنع ما صنعهُ السيّد المسيح

وفي معجزات المسيح خاصّة ثالثة تمتاز بها عن آيات سائر الانبياء فترفع مقامهُ بينهم كرفعة السماء عن الارض . كانت قوّة المعجزات في الانبياء والرسل دون استثناء قوّةً مستعارة وهي في السيّد المسيح قوّة شخصيّة منوطة بذاتهِ الالهيّة

انظر رعاك الله كيف صنع موسى معجزاتهِ . صنعها بدعوة خاصّة من الله اذ

ظهر لهُ وهو يرعى غنم يترو (شعيب) حميهِ في مدين (الخروج ٣: ١٠) واذ حاول ان يتنصّل من هذه الدعوة اكّد لهُ الله انهُ يعضدهُ بقوّتهِ ويصنع على يدهِ المعجزات وكرّر لهُ مرارًا بانّهُ هو تعالى يصطنع الآيات: «امدُد يدي واضرب مصر بجميع آياتي التي اصنعها فيها» وقس على ذلك بقيّة آيات موسى فانّ الربّ هو الذي يرشدهُ الى ضرب البحر بعصاهُ لينجز بنو اسرائيل وهو الذي يتقدّم اليهِ بضرب الصخر لينفجر منهُ المياهُ ويأمرهُ بنصب الحيّة النحاسيّة ليشفى بنظرها الملسوعون. فترى موسى في كلّ هذه المعجزات كآلة في يد الله يصنع ما يُؤمر بهِ

وكذلك بقيّة الانبياء يتوسّلون الى الله متذلّلين كي يُتيح لهم ما يطلبونهُ من الآيات. كما فعل ايليّا لمّا اراد انّ يبعث من الموت ابن ارملة صرفت «فانهُ صرخ الى الربّ قائلًا: أيُّها الربّ لتَعُد روح الغلام الى جوفهِ. فسمع الربّ لصوت ايليّا وعاد الغلام حيًّا» (٣ مل ١٧: ٢١). ومثلهُ صنع اليشع لما اراد ان يقيم ابن الشونميّة (٤ مل ٤: ٣٣) فانهُ لم يباشر العمل الّا بعد صلاتهِ الى الله. لعلمهم جميعاً انهم عبيد الله ليست قوّة العجائب سوى موهبة من فضلهِ

امّا المسيح فانّهُ يتصرّف بقوّات الطبيعة تصرّف السيّد بعبدهِ فيغيّر نواميس الطبيعة كيفما شاء وكلّما شاء بمجرّد ارادتهِ. يقول لهُ الابرص (مت ٨: ٣): «يارب ان شئتَ فانت قادر ان تطهّرني» فيلمسهُ يسوع قائلًا: «قد شئتُ فاطهر». — اتت اليهِ الكنعانيّة تطلب شفاء ابنتها باعيان صارخةً: ارحمني أيُّها الربّ ابن داود. فأجابها: «فليكن لكِ كما اردتِ». — يرى ابن الارملة الوحيد محمولًا الى القبر فيحنّ على امّهِ ويوقف النعش قائلًا للميت (لو ٧: ١٤): «أيُّها الشابّ لك اقول قُم. فاستوى الميت وبدأ يتكلّم فسلّمهُ الى امّهِ». — لا بل يُعدّ الموت امامهُ كالرقاد كما فعل لما دخل بيت رئيس كفرناحوم فنحّى الباكين قائلًا: «تنحّوا انّ الصبيّة لم تَمُت ولكنها نائمة. فضحكوا منهُ فلمّا اخرج الجمع دخل واسلك بيدها فقامت الجارية» (مت ٩: ٢٤—٢٥). — سأل الاعميين الطالبين شفاء بصرهما: هل تؤمنان انّي اقدر ان افعل ذلك. فقالا لهُ: نعم يارب. حينئذٍ لمس اعينهما قائلًا: كايمانكما فليكن لكما»

فترى في كلّ هذه المعجزات انّ المسيح لا ينسب قوّتهُ الى غيرهِ لعلمهِ بانّ تلك

القوة كما تصدر من شخصه الكريم فلا يحتاج الى ان يلتمس من الله نعمة العجائب الكائنة في ذاته . وربما كانت تلك القوة تصدر منهُ بمجرد لمس ثوبهِ كما جرى للمرأة ذات النزيف الدم التي قالت في نفسها (مت ٩ : ٢١) : « ان مسستُ ثوبهُ فقط برئتُ » فلما مسَّت طرف ثوبهِ برئت وكذلك فعل اهل جنَّاسر قال متى (١٤ : ٣٥—٣٦) : « فعرفهُ اهل ذلك المكان . . . فأتوا اليهِ بكل من بهِ مرض وسألوا ان يلمسوا ولو طرف ثوبهِ فكل من لمسهُ برئ » . بل كان يأمر العاهات فتطيعهُ كما فعل لما دخل بيت سمعان ووجد حماتهُ ممنوَّة بحُمَّى شديدة « فزجر الحُمَّى ففارقتها » كما انتهر الرياح والبحر مرَّة أخرى « فحدث هدوء عظيم وتعجَّب الناس قائلين : ايّ انسان هذا فانَّ الرياح والبحر تطيعهُ » (مت ٨ : ٢٦—٢٧) . — وتلك القوَّات الخارجة منهُ كانت تصيب البعيدين كالقريبين كما فعل لابن رئيس الملك فابرأهُ عن بُعد وقال لوالدهِ : « امضِ ان ابنك حيٌّ » فكان كذلك

وزيد على هذه الخواصّ الثلاث خاصَّة رابعة امتازت بهِ معجزات المسيح عن عجائب كلّ الانبياء سواهُ وهي كون المسيح اورث تلامذتهُ تلك القوَّة العجيبة فاعطاهم ان يصنعوا المعجزات . فان من راجع اسفار العهد العتيق يجد بين أولياء الله كثيرين قد اقترفوا الآيات واتوا بالعجائب ولكن لسنا نجد واحدًا اورث هذه الموهبة ذويهِ وتلامذتهُ الَّا السيّد المسيح الذي منح هذه النعمة تبعتَهُ مدَّة حياتهِ واورثهم اياها بعد موتهِ . قال متى (١٠ : ١) : « ودعا تلاميذهُ الاثني عشر واعطاهم سلطاناً على الارواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كلّ مرض وضعف » وافاد مثلهُ لوقا (ف ١٠ : ١—١٩) ان يسوع ارسل اثنين وسبعين من تبعتهِ وارصاهم « ان يشفوا المرضى » وانهم لما عادوا قالوا لهُ : « يارب ان الشياطين ايضاً تخضع لنا باسمك » . . ومما قالهُ اذ ذاك : ها انا قد اعطيتكم سلطاناً ان تدوسوا الحيَّات والعقارب وقوَّة العدوّ كلها وليس شيء يضرُّكم »

وبعد قيامتهِ جدَّد لهم تلك الموهبة واورثها في شخصهم لكنيستهِ حيث قال (مر ١٦ : ١٥—١٨) : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان . وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين ويتكلَّمون بألسنة جديدة ويحملون الحيَّات وان شربوا شيئاً مميتاً فلا

يضرُهم ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » لا بل وعدهم بانهم يصنعون عجائب اعظم من عجائبهِ قائلًا (يو ١٤ : ١٢) : « الحقّ الحقّ اقول لكم انّ من يؤمن بي يعمل الاعمال التي انا اعملها ويعمل اعظم منها »

ولعمري لم تكن هذه المواعيد عرقوبيَّةً فمنذ عهد الرسل الى اليوم لا تزال موهبة العجائب والمعجزات تتبع الكنيسة الكاثوليكيَّة وتشهد لمنشئها الالهيّ وما كاد السيّد المسيح يصعد الى السماء حتى جعل تلاميذهُ يصنعون المعجزات باسمهِ فانَّ بطرس هامة الرسل قال الاعرج من بطن امهِ (اعمال ٣ : ٦) : « باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ » فبرئ من ساعتهِ . وتعدَّدت العجائب على يدهِ حتى انَّ ظلَّهُ فقط كان يشفي المرضى من كل علتهم (اع ٥ : ١٥) . وقد بقيت هذه العطيَّة في الكنيسة حتى ايَّامنا وقد رأى العالم منها في عهدنا عددًا لا يُحصى في لورد وفي لالوفي (La Louvesc) وفي ارس ولم ينقطع نسل القديسين وفاعلي العجائب كفى ان نذكر منهم دون بوسكو (Don Bosco) والقانوني كوتولنغو (Cottolengo) والخوري ڤيانه خوري ارس (B^eux Vianney, Curé d'Ars) فانَّ معجزاتهم العجيبة قد شهدها في زماننا الوفٌ ومئات الوف من البشر الذين انابوا الى الله بسببها بالتوبة الصادقة . فسبحان الذي اعطى سلطاناً كهذا لبني البشر

نبوَّات السيد المسيح

ومما يحقُّ لنا بان نضيفهُ الى معجزات السيد المسيح نبوَّاتهُ التي سبق وانبأ بها عن امور قد تمَّت كما دلَّ اليها . وهذه النبوَّات اوفر عددًا من نبوَّات غيرهِ من الانبياء . واوضح معنىً وأثبت حلولًا مع قرب وقوعها

١ فمن ذلك انَّهُ سبق وانبأ بآلامهِ مفصَّلًا لكل ما سيحلّ بهِ من خيانة احد تلامذتهِ (يو ٦ : ٧١ و١٣ : ٢٦ الخ) وهرب تلاميذهِ (مر ١٤ : ٢٧ الخ) وجحود بطرس المثلَّث (مت ٢٦ : ٣٣ — ٣٥ الخ) ومحاكمتهِ لدى الرومانيين (مت ٢٠ : ١٩ ولو ١٨ : ٤) وما سيلحق بشخصهِ من الاهانات والجلد والصلب والموت (مر ٨ : ٣١ و٩ : ٣١ و١٠ : ٣٤ ولو ٩ : ٢٢ ويو ٣ : ١٤ و٨ : ٢٨)

٢ تنبَّأ عن قيامتهِ وضرب لها مثل يونان النبيّ في بطن الحوت ثلاثة ايام (مت

١٢ : ٤٠ و١٦ : ٤ و٢١ ثمَّ لو ٩ : ٢٢ و١١ : ٢٠ — الخ) وهذه النبوءة شاعت حتى انَّ اعداءهُ بعد موته رووها عنهُ لبيلاطوس (مت ٢٧ : ٦٣)

٣ سبق واشار الى صعودهِ الى السماء مرَّتين (يو ٦ : ٦٢ ثم ٧ : ٣٤)

٤ تنبَّأ عن حلول الروح القدس على التلاميذ بعد صعودهِ (لو ٢٤ : ٤٩ ويو ١٤ : ١٦ و٢٦)

٥ سبق واعلم تلاميذهُ بما سيحلُّ بهم بعد صعودهِ من الاضطهادات لاجل اسمهِ (مت ١٠ : ١٧ ومر ١٣ : ٩ ولو ٢١ : ١٢) مع نشرهم لانجيلهِ والشهادة له في العالم اجمع (مر ١٣ : ١٠)

٦ وصف ما ستلقاهُ كنيستهُ في الاجيال المقبلة من المقاومات مع فشل ابواب الجحيم عنها (مت ١٦ : ١٨)

٧ تنبَّأ لبطرس وخلفائهِ بثبوت ايمانهم الى منتهى الاجيال (لو ٢٢ : ٣٢)

٨ تنبَّأ عن خراب اورشليم على يد الرومانيين مفصِّلاً لكل ظروف محاصرة المدينة المقدَّسة مع ما سيحلُّ فيها من الحروب والمجاعات والزلازل (مت ٢٤ : ٤ — ٤٠ ومر ١٣ : ٥ — ١٠ ولو ٢١ : ٨ — ١٢)

٩ صرَّح بخراب هيكل اورشليم مؤكدًا بانهُ لن يبقى منهُ حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢ ومر ١٣ : ٢ ولو ٢١ : ٦)

وكلُّ هذه النبوَّات التي ما كانت لتخطر على ذهن بشر قد تمَّت بالحرف بعد زمن قليل كما تشهد عليهِ الاناجيل عينها او سفر اعمال الرسل او رسائل القديس بولس او تواريخ المعاصرين كيوسيفوس اليهودي في كتابيهِ العاديات اليهودية والحرب اليهودية وكتابات الآباء الاولين كاغناطيوس وايريناوس . وبعض هذه النبوَّات لا يزال كلَّ يوم يزيد صراحةً وحجَّة . كانتصار الكنيسة من كلِّ اعدائها وعصمة الحبر الروماني بحيث يصحُّ فيهما كلَّ ساعة آخرُ قولِ المسيح لتلاميذهِ قبل صعودهِ الى السماء (مت ٢٨ : ٢٠) : « ها انا معكم كلَّ الأيام الى منتهى الدهر »

٣ لاهوت السيِّد المسيح في معجزاتهِ

انَّ المعجزات والنبوَّات التي سبق لنا ايرادها مع بيان خواصها المميِّزة لصاحبها عن

كلّ الانبياء والرسل تقودنا الى نتيجة لا مناص منها اعني اثباتها لألوهيّة السيّد المسيح فنقول:

(اوّلاً) بيّنّا في مقدّمات مقالاتنا من نصوص العهد العتيق لا بل من اقوال الربّانيين انفسهم انّ المسيح منتظَر الامم ليس هو انساناً محضاً بل الهاً ايضاً. والحال قد ثبت انّ يسوع ابن مريم هو وحدهُ ذاك المسيح وانّهُ ليس فقط اتمّ ما ورد عنهُ من النبوّات فحقّقها في شخصهِ الكريم ولكن اصطنع ايضاً المعجزات الصحيحة لاثبات هويّتهِ فهو اذن إله ليس في لاهوتهِ شكّ ما لم تُنكَر تلك المعجزات او يزعم الزاعم انّ الله أيّد المكر والكذب بسلطان المعجزات وكلاهما مستحيل كما ترى

(ثانياً) انّ من يرضى بصحّة الاناجيل وعدم تحريفها — ولا بُدّ لكلّ عاقل ان يسلّم بهما كما قرّرنا في مقالات سابقة — ينبغي عليهِ ايضاً ان يصادق على كون المسيح هو اله وابن الله

وذلك انّ الملاك جبرائيل ببشارتهِ للعذراء صرّح لها بانّ المولود منها « ابن العليّ يُدعى » (لو ١ : ٣٢) وانّهُ « القدّوس وابن الله » (١ : ٣٥) وكذلك اليصابات دعت مريم « امّ ربّها » (١ : ٤٣) — ولمّا جرّب ابليس السيّد المسيح في البرّيّة لم ينكر عليهِ الربّ قولهُ « ان كنتَ ابن الله » (لو ٤ : ٣) وانّما خذلهُ لسبب آخر اذ كان يعرض عليهِ الاعمال الباطلة — وكذلك لم يزجر المسيح نثنائيل لمّا قال لهُ : « انت ابن الله انت ملك اسرائيل » (يو ١ : ٤٩). ثم رضي ايضاً بقول تلاميذهِ بعد صيدهم العجيب (مت ١٤ : ٣٣) اذ « جاؤوا وسجدوا لهُ قائلين: بالحقيقة انت ابنُ الله » ومثلهم مرتا بعد وفاة اخيها اذ قالت لهُ (يو ١١ : ٢٧) : « انا مؤمنةٌ انّك انتَ المسيح ابن الله الآتي الى هذا العالم » — فكلّ هذه الاقوال لو لم يكن المسيح الهاً لكانت تجاديف ينبغي عليهِ ان ينتقدها ويزجر القائلين بها ويصرّح بكونهِ ليس هو الهاً ولا ابن الله. فاذ لم يفعل فذلك دليل واضح على انهُ هو اله وابن الله حقّاً

(ثالثاً) ولم يسكت فقط السيّد المسيح عن المعترفين بلاهوتهِ بل اثنى عليهم كما فعل مع بطرس حامل الرسل اذ اعترف بهِ صريحاً بقولهِ (مت ١٦ : ١٥) : « انتَ المسيح ابن الله الحيّ . فاجابهُ يسوع بقولهِ : طوبى لك يا سمعان بن يونا فانهُ ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات ». فلو لم يكن

المسيح ان الله والهاً معاً لاقترف اثماً فظيعاً يستوجب الموت بثنائه هذا على كفر بطرس فهيهات ان يؤيد الله لمعجزات زنديق مثله يغرّ الناس بسكوته عن شططهم

(رابعاً) لا بل دعا السيد المسيح نفسهُ بابن الله صريحاً فانهُ بعد ان ابرأ الأعمى منذ مولده قال لهُ يسوع : اتؤمن انتَ بابن الله . فاجاب وقال : من هو يا سيد لأؤمن بهِ : فقال لهُ يسوع : قد رأيتهُ وهو الذي يتكلمك . فقال لهُ : قد امنتُ يارب وسجد لهُ »

واعظم من هذا شهادتهُ العلنيَّة الرسميَّة امام محفل اليهود وكبير احبارهم لمَّا اجتمعوا ليلاً ليحكموا عليهِ بالموت واذ لم يجدوا في الشهادات الزور سبباً كافياً للحكم عليهِ سألهُ قيافا رئيس الكهنة مستنشداً بالله (مت ٢٦ : ٦٣) : « أقسم عليك باسم الله الحيّ ان تقول لنا هل انتَ المسيح ابن الله . فقال لهُ يسوع : انتَ قلت ». وكرّر هذه الشهادة مرَّة ثانية في صباح يوم موتهِ اذ « قال لهُ الجميع : أفأنت ابنُ الله . فقال لهم : انتم تقولون اني انا هو » (لو ٢٢ : ٧) . واثبتوا ذلك امام بيلاطوس حيث بيَّن لهم انهُ بريء لم يجد فيهِ موجباً للموت فصرخوا (يو ١٩ : ٧) : « انَّ لنا ناموساً وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت لانهُ جعل نفسهُ ابن الله »

فكلّ هذه الآيات تبيّن صريحاً انَّ المسيح اعلن بكونهِ ابن الله جوهرياً لا مجازاً لانهُ لو كان ذلك على طريقة المجاز كما يقال لكلّ البشر انهم ابناء الله لما رأى احد في قولهِ شيئاً ملوماً

(خامساً) وكما ادَّعى المسيح انهُ ابن الله اعلن ايضاً بانهُ اله بطرائق شتى فانهُ تارةً يؤكد بانهُ « الربّ والمعلم » (يو ١٣ : ١٣ — ١٤) وتارةً يصرّح بانهُ اعظم من موسى (مت ١٩ : ٨—٩) ومن سليمان ويونان (مت ١٢ : ٤١ — ٤٢ ولو ١١ : ٣١—٣٢) وحيناً يُعلن بأنهُ كان قبل ابراهيم « الحقّ اقول قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨ : ٥٨) وانَّ ابراهيم كان يبتهج ان يرى يومهُ فرآهُ وفرح (٨ : ٥٦) . ولم يكتفِ بان يقول عن نفسهِ انهُ مرسل من الآب (يو ٥ : ٣٦—٣٧ و٦ : ٣٠ ، ٤٠ و٨ : ١٦—١٨ الخ) بل دعا الله اباهُ (لو ٢ : ٤٩ ويو ٢ : ١٦ و٥ : ١٧ و٨ : ٢٧ الخ) لا بل يقول صريحاً لليهود (يو ١٠ : ٣٠) : « انا والآب واحد ». فايّ تجديف اعظم من هذا لو لم يكن المسيح الهاً

(سادساً) وقد صنع المسيح كثيراً من معجزاتهِ رأساً ليثبت انهُ إله فنقض السبت وعمل فيهِ الآيات ليقنع الفريسيين بانهُ « ربُّ السبت » (مت ١٢ : ٨ مر ٢ : ٢٨ لو ٦ : ٥). ظن الخطايا كإله واذ رأى اليهود في هذا العمل تجديفاً قائلين : من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله . فللوقت صنع آية ليثبت كونهُ الهاً « فلكي تعلموا انَّ ابن البشر لهُ سلطان على الارض ان يغفر الخطايا قال للمخلَّع : لك اقول : قم احمل سريرك واذهب الى بيتك » . وهذه السلطة الالهيَّة قد منحها لتلاميذهِ بقولهِ (يو ٢٠ : ٢٢) : « خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » — واذ سألهُ تلاميذ يوحنَّا أهو المسيح المنتظر اكتفى بان يشير الى معجزاتهِ دلالةً على انَّهُ حملُ الله الذي اشار اليه معلمهم (يو ١ : ٢٢) — ولمَّا اراد اليهود ان يرجموهُ لزعمهم انَّهُ جدَّف قال لهم يسوع : « اني اريتكم اعمالاً كثيرة حسنة من عند الآب فلاي عمل منها ترجموني . فاجابهُ اليهود : انَّنا لسنا لعمل حسن نرجمك لكن للتجديف ولانك تجعل نفسك الهاً وانت انسان » فكان جواب المسيح : « ان لم اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي . . فان لم تريدوا ان تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لتعلموا وتؤمنوا انَّ الاب فيَّ وانا في الاب (يو ١٠ : ٣٦—٣٨) » . وقد كرَّر ذلك مراراً مؤكداً انَّ معجزاتهِ تدلُّ على لاهوتهِ — ولمَّا صنع تلك المعجزة الفائقة لمعجزات كلّ من سبقه اعني اقامة لعازر بعد موتهِ باربعة ايام صرَّح بانَّهُ يفعل ذلك لاثبات لاهوتهِ وانهُ هو القيامة والحياة (يو ١١ : ٢٣,٤١) . فهذه كلها شواهد لا يمكن نقضُها تدلُّ على انَّ معجزات السيد المسيح مثبتة الاهوتهُ بلا محالة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Drei arabische Quellenwerke über die 'Aḍḍâd mit Beitraegen von P. A. Salhani, und einem spaetarbischen 'Anhange herausg. von Dr Aug. Haffner, *Beirut, Impr. Catholique,* 1913, pp. XVIII-282

ثلاثة كتب في الاضداد للاصمعيّ وللسجستانيّ ولابن السكيت مع ذيل للصغانيّ

من قلَّب معاجم اللغة الكبيرة كلسان العرب والقاموس والتاج والصحاح اخذهُ العجب من كثرة استشهاد اصحابها بائمة اللغويين كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد

وغيرهم ممن كنّا نعدّ تآليفهم اثرًا بعد عين . لكنّ همّة المستشرقين في عصرنا أبت الّا ان تستخرج بعض تلك الكنوز من دفائنها فهم يُكدّوا في مطالبهم . وقد أنشدنا سابقًا كثيرًا من تلك الضوالّ فنشرتها مطبعتنا الكاثوليكيّة . وها هوذا مجموع جديد يحتوي اربعةً من نفائس الآثار اللغويّة لاقدم ارباب اللغة وهي كلّها في موضوع واحد اعني الاضداد العربيّة للاصمعيّ ولابي حاتم السجستاني ولابن السكيت وللصغاني نقلها الدكتور اوغست هفنر احد اساتذة كليّة إنسبروك الفضلاء عن مخطوطات الاستانة وڤينّة وبطرسبورج وبغداد وقدّم عليها الملحوظات المفيدة مع بيان الروايات المختلفة وختمها بثلاثة فهارس على حروف المعجم الواحد لاسماء الشعراء الذين وردت ابياتهم في الاصل والآخر لالفاظ الاضداد ثم للقوافي. والكتاب يبلغ ثلاثمائة صفحة قد طُبع في مطبعتنا على احسن منوال مضبوطًا بالشكل الكامل وقد تولّى نظارة طبعه حضرة الاب ا. صالحاني فافرغ الوسع في ضبطه وألحق كلًّا من تلك التآليف بتراجم مؤلّفيها وتعريف مصنّفاتهم وزاد في ذيلها عدّة ملحوظات . ولا نشكّ في انّ محبّي الآثار العربيّة يتلقّون هذا الكتاب بزيد الارتياح فيتخذونهُ في سلك اعزّ مآثر خزائنهم ل.ش

L. Cheïkho, s. j. : Catalogue raisonné des Manuscrits Historiques de la Bibl. Orientale de l'Université St Joseph (Mélanges de la Fac. Orientale, VI, 213-304. Beyrouth, 1913, pp. 92

قائمة المخطوطات التاريخيّة المصونة في خزانة المكتبة الشرقيّة

باشرنا سابقًا في المشرق وصف مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة فعرّفنا منها ١٣٠ كتابًا ولم يسمح لنا الوقت بمواصلة العمل . واذ لم يزل المستشرقون يلحّون علينا لتفيدهم عن محتويات هذه المكتبة لبّينا دعوتهم فنشرنا في مجموع مكتبتنا الشرقيّ في الافرنسيّة وصف المخطوطات التاريخيّة فقط التي حصلنا عليها وهي لا تقلّ عن ١٥٠ مصنّفًا معظمها في العربيّة والبعض منها في الفارسيّة والتركيّة والسريانيّة . وطريقتنا في هذا الوصف طريقة المستشرقين الذين يعرّفون كلّ خواصّ الكتاب كمؤلّفه وموضوعه واقسامه بحيث يقف البعيد فضلًا عن القريب على كلّ محتوياته وشؤونه. وقد دللنا على اصل كلّ كتاب ومكان وزمان مبيعه ل.ش

L. Ronzevalle, s. j. : Un traité de Musique arabe moderne, Préface, traduction française, texte et notes (Mélanges de la Fac. Or. VI, 1-120) Beyrouth 1913, pp. 120 *avec Planches.*

الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة (طبعة ثانية)

لم يبرح عن ذكر قرّائنا نشر هذه الرسالة لاوّل مرَّة في المشرق سنة ١٨٩٩ (٢ : ١١٦, ٢١٨ الخ) كان تولّى طبعها وتذييلها بالحواشي حضرة الاب ل. رتوفال ثمَّ طبعناها على حدة فنفد طبعُها . فاستغنم حضرتهُ هذه الفرصة ليجدّد طبع الرسالة ويصلح ما وقع فيها من الاغلاط على نُسخ خطّية جديدة ونشرها في مجموع مكتبنا الشرقيّ لسنته السادسة . وقد خصَّ بهذه الطبعة المستشرقين المولعين بدرس الموسيقي العربيَّة ولذلك نقلها لهم الى الافرنسيَّة وعلَّق عليها التعليقات الموافقة لذوق الاوربيين ليوقفهم على بقايا هذه الصنـاعة كما هي جارية في عهدنا وضمَّنها الجداول المفيدة للمقابلة بين الديوان العربيّ وديوان الموسيقى الغربيَّة . ونعلم سلفاً انَّ ارباب الصنعة يقبلون على هذا التأليف ويثنون على سعة معارف ناشره ل. ش

Die Welt des Islams. Zeitsch. d. deut, Gesellschfat f. Islamkunde ; herausg. v. Prof. Dr Georg Kampffmeyer. *I Bd., Heft* 1, XVI-84, *Berlin.*

مجلَّة عالم الاسلام

انَّ اختـلاط الغرب بالشرق بعد الحوادث التي جرت في هذه السنين الاخيرة يستدعي كلّ يوم وضع تآليف جديدة في العالم الشرقيّ ولا سيما الاسلاميّ لقربهِ من الحدود الغربيَّة . والاوربيُّون يقبلون على هذه المصنَّفات اقبال الجياع على القصاع رجاء ان يدركوا لغز الاسلام من حيث الدين والشرع والتاريخ والآداب والعادات لكنَّ هـذا يهرف بما لا يعرف وذاك يقدح او يمدح كما تصوّرهُ لهُ غاياتهُ . ولعلَّ صديقنا الاستاذ كمفماير اقرب الى الطريقة الوسطى من سواهُ اذ عاش زمناً طويلاً في بلاد الاسلام ودرس طباع المسلمين وكتب عنهم . ومن مآثرهِ الجديدة هذه المجلَّة « عالم الاسلام » التي جعلها كلسان حال جمعيَّة المانيَّة عُقدت في برلين لدرس الاسلام وما يتوط بهِ . ويكتب في المجلَّة المذكورة بعض الاختصاصيين الذين لهم طول الباع في الابحاث الاسلاميَّة . فنرحب بهذا المشروع ونتمنَّى لهُ رواجاً كبيراً ل. ش

. Henry Dugout, s. j. Atlas Philologique Élémentaire. Essai de classification géographique des Langues actuellement parlées. *Zi-Ka-Wei. Impr. de l'Orphelinat de T'ou-sè-wè*, pp. 104, avec 15 *Planches*.

اطلس اللغات الشائعة على وجه الارض

ألّف هذا الكتاب احد الآباء اليسوعيين المرسلين في الصين وطبعهُ طبعاً بديعاً في مطبعة رسالتنا هناك. وغايتهُ ان يجمع بنظر عامّ كلّ اللغات الشائعة اليوم في انحاء العمور وقارات العالم الخمس فيبيّن طوائفها واقسامها وما يوجد بين كلّ طائفة منها من العلاقات وعدد الذين يتكلّمون بها والجهات التي هي شائعة فيها. وهذا لعمري بحث جليل كثيراً ما يعرضهُ علينا قرّاؤنا فعليهم بهذا الكتاب الذي يكفي لشفاء غليلهم مع مَا فيهِ من الخرائط المتقنة التي تروق النظر بحسن الوانها وشاراتها. فنشكر المؤلف على هذا العمل النفيس الذي يشهد للمرسلين على اهتمامهم بنشر الاداب والعلوم حيثما حلّوا

ل. ش

دستور الرؤساء في رئاسة مرؤوسيهم

للاب ڤالوي اليسوعيّ عرّبهُ حضرة القس مبارك المتيني

طُبع في مطبعة الارز جونية (لبنان) سنة ١٩١٣ (ص ٥٨٩)

الاب مبارك ڤالوي محقّق كثير التآليف الدينيّة والادبيّة التي تكرّر طبعها مدّة حياتهِ وبعد وفاتهِ († ١٨٦٩) ولعلّ كتابهُ في سياسة الرؤساء لمرؤوسيهم (Le gouvernement des communautés religieuses) افضل تآليفهِ جدّد طبعهُ خمس مرّات في حياتهِ مع ضخمهِ. والحقّ يقال انهُ استوفى ذاك الموضوع الصعب المراس ونهج للرؤساء طريقاً سهلاً اذا سلكوهُ تنصّلوا من تبعة الرئاسة ومسؤليّتها امام الله الذي سيحاسبهم على تدبير مرؤوسيهم حساباً مدقّقاً يوم الدين. ويكفي المطالع ان يقرأ فصول الكتاب المتعدّدة ليتحقّق انّ المؤلف لم يفسّ شيئاً من واجبات الرؤساء وفرائضهم المختلفة في كل شؤون الحياة الرهبانيّة. فبتعريبهِ لهذا الكتاب قد خدم حضرة القس مبارك المتيني رؤساء الرهبانيّات البلديّة خدمةً ممتازةً. فأملنا ان كل رئيس دير يجعل هذا الكتاب كدليلهِ الامين ومرشدهِ اليوميّ في

تصرُّفهِ مع رهبانهِ . بل يشمل نفع الكتاب كلّ من لهُ حصَّة في سياسة الناس عموماً لما ضمَّنهُ المؤلف من الحكم والمبادئ العامَّة التي تصلح لتدبير الرعايا والمجتمعات البشريَّة

ل . ش

منتخبات الشيخ امين الحدَّاد

طُبعت بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٠)

رُزئت الآداب العربيَّة في العام الماضي بهذا الفرع النامي من الدوحة اليازجيَّة فات الشيخ امين الحدَّاد في تمام كهولتهِ (١٨٦٨—١٩١٢) مصاباً كشقيقهِ الشيخ نجيب بداء التدرُّن التنَّال . وقد نُقلت آخرًا رفاتهُ الى مدفن العائلة في كفرشيما بعد نقل رفات خالهِ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجيّ بزمن قليل . وقد خلَّف الشيخ امين كآل بيتهِ الادباء آثارًا تنطق بفضلهِ اكثرها متفرّق في الصحف المصريَّة . ولهُ مقالات عديدة نشرها في مجلَّة انيس الجليس التي تولَّى تحريرها مدَّة عشر سنوات وكلُّها ممتازة بحسن سبكها وبعدها عن التكلُّف والتعقيد وهي خصلة ورثها من خالهِ الشهير بانسجام كتاباتهِ . والمنتخبات التي نحن بصددها مجموعة من تلك المقالات خصوصاً أُضيفت اليها بعض قصائدهِ . وفي نيَّة الجامع ان يفرد لها ديواناً مستقلًا . فنشكر الذين عُنوا بنشر هذه الدرر التي بها اتَّسع كنز الآداب النصرانيَّة الحديثة فيرجع اليها ارباب القلم وينحو نحوها احداث المدارس

ل . ش

تاريخ الصحافة العربيَّة

بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي

الجزء الثاني طُبع في المطبعة الاديبيَّة (سنة ١٩١٣ ص ٢٢٤)

لم يمرّ علينا اربعة اشهر مذ اثنينا على هذا الكتاب النفيس وبيَّنا فضل مؤلفهِ الاديب الذي اخذ على عاتقهِ عبئاً تنوء تحتهُ مناكب طائفة من الكتَّاب . وهذا الجزء الثاني اوسع نطاقاً من الاوَّل وان كان اقصر حقبةً اذ لا يتناول سوى ثلاث وعشرين سنةً (١٨٦٩—١٨٩٢) لكنَّ الصحافة العربيَّة في هذه المدَّة خرجت كالطفل من مهدها والقت عنها التمائم . فتوفَّرت الجرائد في انحاء السلطنة العثمانية وظهر عدد منها خارجاً عن الدولة العثمانية في عواصم اوربَّة واقطار افريقية وان لم تتجاوز بعد الى

نواحي اميركة . فتتبع جناب المؤلف كل هذه الصحائف مهما قصرت اعمارها وضبط مزارها وذكر تاريخها ولمع الى مضامينها مثبتاً لرسوم منشئيها بل دوّن تراجمهم وعدّد مصنّفاتهم حتى انّ الكتاب اضحى تاريخاً عمومياً للآداب العربيّة فضلاً عن اخبار الصحافة . فجازى الله الف خير من قام بهذا العمل وخدم وطنهُ خدمةً يشكرها لهُ الخلف بعد السلف ل . ش

قرّة العين في رواية الى اين

تأليف هنريك سنكيفيج . ترجمها من الايطالية المرحوم القس توما أيوب
طُبعت في المطبعة الماروئيّة بحلب (ص ٢٣٦ وثمنها ريال مجيدي)

لمّا ظهرت قبل ١٢ سنة رواية « الى اين » (Quo Vadis) تهافت عليها القرّاء ونُقلت الى كل اللغات الاوربيّة فاصابت رواجاً عظيماً ليس فقط لحسن انشاء كاتبها وتفنّنهِ في تنسيقها بل خصوصاً لضبطهِ اوصاف كل عادات الرومان في دينهم ودنياهم على عهد نيرون حتى انّ القارئ ينسى زمانهُ فيعيش بين اولئك القوم ويرى رأي العيان احوالهم ويسمع اقوالهم ولاسيما نيرون ملكهم ولولا بعض فصول اتّسع فيها المؤلف في وصف خلاعة قدماء الرومان لجعلتها عثرةً في سبيل النفوس الطاهرة لعُدّت الرواية من افضل الروايات العصريّة . وممّا امتاز بهِ الكتاب وصف النصرانيّة وفضائل اهلها في ذاك الجيل الفاسد بين الوثنيين المتهتّكين بعد رسالة بطرس نائب المسيح ورئاستهِ مدّة خمس وعشرين سنة لكنيسة رومية التي شرّفها بفضائلهِ وموتهِ . وليس اسم الرواية « الى اين » سوى احدى مقدّمات استشهادهِ الجليل مع بولس الرسول وصفهِ في الرسالة . فترى انّ هذه الرواية جامعة لضروب المحاسن رغماً عمّا شان بعض اقسامها . وهذا ما حدا بفقيد الآداب المرحوم القسّ توما أيوب الحلبي الى تعريبها كما عرّب سابقاً رواية تشبهها بل تفوق عليها من بعض الوجوه « فابيولا » للكردينال وَيسمان . لكنّهُ رحمهُ الله عمد الى العمل مستنداً الى الترجمة الايطالية التي نقّحها ثلاثة من الكهنة الايطاليين برضى المؤلف نفسهِ . وهذه الترجمة العربيّة قد اتقنها المعرّب ايّ اتقان فهي مثال لضبط النقل وحسن التعريب . ولو طُبعت قبل وفاتهِ لما وقع فيها بعض اغلاط طبعيّة لحظناها فيها ل . ش

كتاب سحر بابل وسجع البلابل

للسيد جعفر الحلي النجفي

طُبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٣١ (ص ٤٦٤)

سحرُ بابل لكنَّ من البيان لسحرًا وسجعُ البلابل ومن البلابل ما يتغنَّى شعرًا. وهذا منهما وهو ديوان احد السادة العلويين الذي دهمتهُ المنون في عز كهولته (١٢٧٧ — ١٣١٥هـ) نزيد به السيد جعفر الحليّ النجفيّ ذا الآثر الطيبة. وديوانهُ من الشعر العراقيّ الجيّد جمع شواردهُ جناب اخيه السيّد هاشم الحسينيّ الحليّ فعُني بنشره على ترتيب القوافي وذيَّلهُ بالحواشي التاريخيَّة الكاشفة عن كثير من اسراره. ولولا ضيق المكان لنقلنا منهُ نبذًا توقف على فضل الشاعر واساليبه العجبة المطربة

حقائق وعبَر

تأليف اسكندر الخوري البيتجالي

طُبع في مطبعة القبر المقدَّس بالقدس الشريف سنة ١٩١٣ (ص ١٩٣)

انخدعنا بعنوان هذا الكتاب فظننَّا أنَّنا نلقي ضمنهُ « حقائق وعبرًا » فما قابلنا بعضاً من صفحاته حتى اشتممنا منها رائحة الزندقة والعداء الدين فتعجَّبنا كيف تساهلت « مطبعة القبر المقدَّس » الارثدكسيَّة بنشر كتاب مثل هذا يطعن في الدين وتعاليمهِ في كل صفحة من صفحاته فتارة يهزأ بالعقائد النصرانيَّة بالكلام البذيء وتارة يشتم ارباب الدين باقذع الشتائم فينعتهم بالصوص وخدَّاعين يموّهون على النـاس لترويج غاياتهم الدنيَّة واشياء كثيرة غير هذه تدلُّ على سفاهة الكاتب وتهتكهِ جريًا على آثار « فيلسوف الفريكه » . ومن العجب انَّ المؤلف مع احترازهِ « الزواج الحرّ » في نصوص عديدة يحظر الزواج على الفقراء الضعفاء قال (ص١٧٥) : « تأثير زواج الفقراء الضعفاء على الاجتماع كتأثير العلَّة الجراحيَّة على المريض ان لم تذهب بحياتهِ زادت في فساد جسمهِ وانحلالهِ » وفي الصفحة عينها يقول هذا القول الغريب : « الانسان خاضع لثلاثة نواميس الناموس الطبيعي والديني والمدنيّ وهو كلَّما اطاع ناموساً عصى الناموسين الآخرين » . ومما قولنا بكلمات اخرى كهذه (ص ١٣٤) : « لولا خوف جهنَّم لاستوى المؤمن والملحد » وكهذه (ص ١٢٥) : « رجال الدين والحكَّام

في الشرق يضطهدون العقل والذكاء في الشعب .... لئلا يعود يترفّع عن تقديس هفواتهم وتسبيح معاصيهم » وغير ذلك مما يأنف قلمنا من تسطيره ولم تستنكف مطبعة القبر المقدس من نشره ل.ش

اخوة واخوات يسوع

بحث علميّ للاب انطون صالحاني اليسوعيّ

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للمرسلين اليسوعيين بيروت ١٩١٣

ما كنّا لنظنّ انّ كاهناً كاثوليكياً يدّعي بان اخوة واخوات يسوع هم اولاد القديس يوسف بعد ما الفينا سابقاً كاتب المنار الارثدكسي قائمتنا لهُ بتوليّة هذا القديس العظيم في المشرق في سنتيها الثانية والثالثة . فنشكر حضرة الاب صالحاني الذي عاد وانتصر للحقيقة . فعسى الكاهن الذكور ان يرعوي ويسلم بما هو اليوم مقرّر في كل الكنيسة شرقاً وغرباً وان لم يكن معدوداً من عقائد الايمان ل.ش

فريدريك اوزنام – النادي الكاثوليكيّ – قوانين النادي الكاثوليكيّ

ثلاث كراريس اتحفتنا بها مجلة المرأة الغرّاء بعد نشرها في اعداد سنتها الرابعة وطبعها على حدة . فنحث رسل المحبّة على مطالعة ترجمة ف . اوزنام بقلم حضرة الخوري نقولا دهّان رئيس المدرسة البطريركيّة في دمشق فهناك مثالٌ نعم المثال لكل من يقصد خدمة القريب بغيرة وتزاهة . ونحرّض السعاة بجمع كلمة الشبّان الكاثوليك على التروّي في مقالة النادي الكاثوليكي لحضرة الاب يولس سيُّور المرسل البولسيّ مع ما يليها من القوانين لينشئوا في كل مدينة وبلدة منتدى للناشئة الكاثوليكيّة يتدرّبون فيهِ على الحياة المسيحيّة ويترشحون للاعمال الآيلة الى خير الهيئة الاجتماعيّة عموماً ودينهم ووطنهم خصوصاً

الرسالة

مجلّة كاثوليكية كهنوتية تصدر مرّة في الشهر

بارك الله في من اخرج الى حيز الوجود فكرًا طالما خطر على بالنا ووددنا لو قام بهِ احد رجال الفضل لنفعة اولئك الذين دعاهم الربّ ملح الارض ونور العالم فيسعى

بصيانة ذاك الملح من الفساد ويزيد ذاك النور بهاء ليستضيء به كل طالب نور . وذاك ما قصده حضرة الخوري لويس دريان بانشائه مجلة الرسالة التي صدرت في غرة شهر تموز . فغايته ان يقدم للكهنة الكاثوليك من كل الطوائف صحيفة خاصة بهم توقفهم على كل ما من شأنه ان يرسخ قدمهم في الفضيلة ويرقيهم في المعارف الدينية والادبية ليسيروا دائماً في مقدمة الشعب المسيحي ويرشدوه الى غايته بامان . والعددان الاولان من هذه المجلة يضمنان لنا نجاح العمل ولا سيما انَّ القائم به ليس فرداً من الافراد بل لجنة من الكهنة مؤلفين من جميع الطوائف الشرقية الكاثوليكية . وقد بارك هذا المسعى السيدان الجليلان المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت على الموارنة والسيد اثناسيوس جحا مطران بيروت على الروم الملكيين الكاثوليك ونشّطاه برقيم خاص . فيا حبذا لو مهّد هذا العمل السبيل الى انشاء جمعية كهنوتية تضم كهنة كل الطوائف يتباحث فيها اصحابها في المصالح الكاثوليكية العمومية فانهم باتحادهم يخدمون الكنيسة في الشرق احسن خدمة ويظفرونها من كل اعدائها ل . ش

شذرات

انصاف صاحب مجلة لغة العرب روى صاحب مجلة العرب فصلاً من خطب ابن الجوزي في مجلة كوكب البرية (تموز ١٩١٣ ص ١٠٣) ونص في ذيله على بعض اغلاطنا فقال : انَّ اسم الجوزي هو بفتح الجيم لا بضمها كما روينا في مجاني الادب (٥ : ٢٨٩) . ثمَّ روى في الصفحة التالية سنة وفاة ابن الجوزي سنة ٥٩٧ هـ الموافقة لسنة ١٢٠١ م ثمَّ قال في الحاشية « امَّا الاب لويس شيخو فقد ذكر مقابلاً للسنة الهجرية ١٢٠٢ مسيحيَّة (المجاني ٥ : ٢٧٩) وهو غلط ظاهر ومثل هذه الاغلاط كثيرة في كتابه فلينتبه القارئ عند مطالعته الكتاب » فنشكر حضرة صاحب مجلة لغة العرب على الفاته نظر القرَّاء الى اغلاطنا الكثيرة ولو راجع حضرته طبعات كتابنا مجاني الادب لوفَّر على نفسه زمناً ثميناً ورأى ان هذه الاغلاط الطفيفة أُصلحت منذ سنين عديدة فانَّ لدينا طبعةً من المجاني الخامس طُبعت السنة ١٨٩٩ فترى هناك اسم ابن الجوزي وسنة وفاته بالضبط اللازم . فانظر انصاف

حضرة الاب انستاس في انتقاده ولعلّهُ قابل بين طبعتين من كتابنا فنصّ على الغلط دون الاصلاح . سامحهُ الله

﴿ خنافس الصحافة ﴾ نضمُّ صوتنا الى صوت « زحلة الفتاة » (في عددها ٦٥) للاحتجاج على جريدتي البلاغ والمصوّر اللتين لا تزالان ترميان الدين المسيحيّ بالمثالب والشتائم . فالعجب كل العجب ان الحكومة المحلّيّة تسكت عن مثل هؤلاء الاغرار كالباقر والتنير مع تواتر الاوامر الواردة من الاستانة في محاكمة الذين يطعنون في الاديان . فليعلم ارباب دولتنا اننا نشكّ بصدق مواعيدهم في الاصلاح والتوفيق بين العناصر الوطنيّة ما داموا يضربون الصفح عمّن يسعى في التفريق ويجرح احساسات النصارى في ما يعدُّونهُ اشرف من الكنوز واعزّ من الحياة نفسها

﴿ نصائح صحيّة للعموم ﴾ ارسلت لنا جمعيّة اغاثة الملهول ورقة تحتوي على ستّ نصائح للعموم يتّقون بها داء السلّ فنشكر الجمعيّة المذكورة ونستصوب نصائحها ويا ليتها كانت وضعت في مقدّمة هذه النصائح ذكر خوف الله الذي هو بدء الحكمة واحسن ضمين لصحة النفس والجسم معاً

﴿ فنّ الرمي بالاشعّة ﴾ اشعّة رنتجن لم تُستخدم حتى اليوم الّا لمنفعة المجتمع البشريّ وها هي الآن قد دخلت في الفنون الحربيّة باكتشاف جديد جعلها من اكبر آفات الحروب اذ تأتي بما لم تأتِ بهِ المدافع وقذائف الطوربيل وغيرها . فانّ احد المهندسين الايطاليين المسمّى اوليفي (M. Olivi) المستخدم في فرنسة كان منذ بضع سنوات يسعى بدرس فعل اشعّة رنتجن في الاجسام المعدنية بمساعدة مدير شركة تأمين الحياة المسيو ماين (M. Mayen) الذي اعارهُ مركباً مجهّزاً لاسفارهِ الخاصّة يدعى لادي هنريت (Lady-Henriette) ليقوم فيهِ بامتحاناتهِ فتمكّن المسيو اوليفي من وضع آلة لرمي الاشعّة الى مسافات بعيدة يستدلُّ بها على ما في دائرة تلك الاشعّة من الاجسام المعدنيّة وعلى قوّتها الكهربائية والمغناطيسية وان كانت تلك الاجسام مراكب حربية تحتوي على ذخائر بارود وقذائف عرف محتوياتها وامكنهُ ان يفجرها فيدمّر المراكب حتى اعظمها ضخماً كالدريدنوط . وقد عرض اوليفي على الحكومة الفرنسويّة ان يبيعها حقوقهُ في امتياز آلتهِ . وقد حضر آخرًا الامتحانات التي صنعها

في ميناء المشاقر الجنرالان جوفر (Joffre) ودي كستلنو (de Castelnau) فتأكدا صحتها وقد أجرى اوليفي بالاشعة التي دون البنفسجية - rayons infra violets) وهو يدعوها باشعة ف (rayons F) صناديق مملوءة بارودًا على مسافة ٢٣ كيلومترًا . فهذا لعمري فنّ عجيب دعوهُ بفنّ الرمي بالاشعة -radioba listique) والله أعلم بما سينتج عنهُ من التهاويل أبان الحرب . وعمَّا قليل سيستأنف اوليفي امتحاناته في البحر الشمالي على مسافات ابعد من السابقة

الكثلكة في الصين بعد سقوط السلالة الملكية المنسوبة الى التتر اصبحت أسر عديدة من اشراف الدولة السابقة في حاجة حرجة لإعراض الجمهورية الجديدة عنهم فانشأ المرسلون اليسوعيون جمعيات من المحسنين لمساعدة اولئك المنكوبين وتربية اولادهم فأثّر مثلهم احسن تأثير في الصينيين الذين اثنوا على هيئة الكاثوليك واخذوا يرسلون الصدقات لرؤساء الجمعيات . وقد ارادت الامبراطورة السابقة ان تكون في مقدّمة المحسنين فخصّت ملكاً واسعاً لهذه الغاية

ومن اخبار المرسلين ان نشراتهم العلمية تزداد كل يوم وتستوقف انظار ادباء الصينيين . وللاباء اليسوعيين في شانغاي مجموعة علمية (Variétés Sinologiques) بلغ عدد مجلداتها الخمسة والثلاثين عدًا هذا فضلاً عن مطبوعات أخر عديدة منها جريدة يُنشئها آباء صينيُّون يسوعيُّون ومنها عدّة تآليف للاب (ڤگر L. Wieger) اليسوعي قرّظها علماء الصين . وفي تشرين الثاني من العام الماضي قد ارسل الكردينال مري دالثال رسالة باسم الحبر الاعظم يثني على غيرة هذا الأب وعلى خدمه العديدة في سبيل العلم والدين . وفي السنة الحالية باشر الكاثوليك بنشر جريدة أخرى ادبية علمية سياسية . ومن منشورات المرسلين الحديثة خارطة كبيرة تدلُّ على احوال النصارى في الصين ومشروعاتهم ألّفها الاب دي موادري (P. de Moidrey) . لمَّا كليتهم الحديثة في شانغاي المعروفة بالفجر (l'Aurore) فيتزاحم فيها الطلبة من كل فجّ على اختلاف اديانهم وحظيت برضى الحكومة الجديدة — ومن اخبار الصين السارّة انَّ صدر وزارتها الاعظم المدعو « لو تشانغ سيانغ » هو من الكاثوليك العريقين بالدين . وكان سابقاً من البروتستانت لكنَّهُ تزوج من سيدة بلجيكية كاثوليكية فأثّر فيه تقواها وطلب ان ينحاز الى الدين الكاثوليكي لمَّا تعيَّن كسفير

دولته في روسيا فجد البدعة البروتستانتية في موسكو وفيها تمدد وتثبت على يد الاسقف اللاتيني هناك

اسئلة واجوبة

س سأل من حلب احد كهنتها . أصحيح انّ ذخيرة عود الصليب واطواق القديسين اذا وُجدت في عنق انسان على فراش الموت لا تفارق روحهُ ما لم تُنتزع عن عنقهِ

الذخائر المقدّسة في عنق المنازعين

ج لا صحّة لذلك مطلقاً . الّا ان يُقال بحدوث الامر على سبيل المعجزة حيناً من الاحيان . ومعلوم انّ المعجزات لا يُبنى عليها قاعدة مطّردة

س وسأل من غزير حضرة القسّ ي ح . ا هل يجوز ان يُزيّح القربان الاقدس بعد الجنّاز بحضور جثّة الميت

زيّاح القربان بحضور جثّة الميت

ج كلّا لا يجوز . ما لم يُفهم بالزيّاح بركة القربان التي يمنحها الكاهن في آخر القدّاس فانّ هذه داخلة في الذبيحة ويجوز تقدمة الذبيحة بحضور جثّة الميت

س وسأل احد المستفيدين من باريس . اذا نعرف عن احد مطارنة الشام اليعاقبة المسمّى حنّا بن عيسى الصدّدي

حنّا بن عيسى الصددي اليعقوبي

ج لم نجد له ذكرًا في ما لدينا من المطبوعات والمخطوطات . ولعلّ احد قرّائنا الدمشقيين يستطيع ان يفيدنا في ذلك علماً

س وسأل احد الأدباء من يافا : هل يؤثر جنون الوالدين او احدهما على عقل الولد اذا وُلد بعد فقد عقل الوالدين او احدهما ؟ فان قيل يؤثر سألنا فلماذا لا تمنع السلطة المدنيّة زواج المتوه كما منعت زواج المبتلَيْن ببعض الامراض كالزهري والسلّ وخلافهما

تأثير الجنون في النسل

ج ليس تأثير جنون الوالدين في مواليدهما مطّردًا حتى الذين وُلدوا بعد فقدهما لعقلهما . وعليهِ لم تجعل السلطة المدنيّة مانعاً لزواج المولود منهما الّا اذا ثبت فيهِ الداء بالوراثة

ل . ش